Twitter: @almosahm
22.8.2013

مولاي محمد الإدريسي الطاهري

استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف

عند علماء الأندلس والمغرب

بين التأصيل الفقهي والتطبيق المنهجي

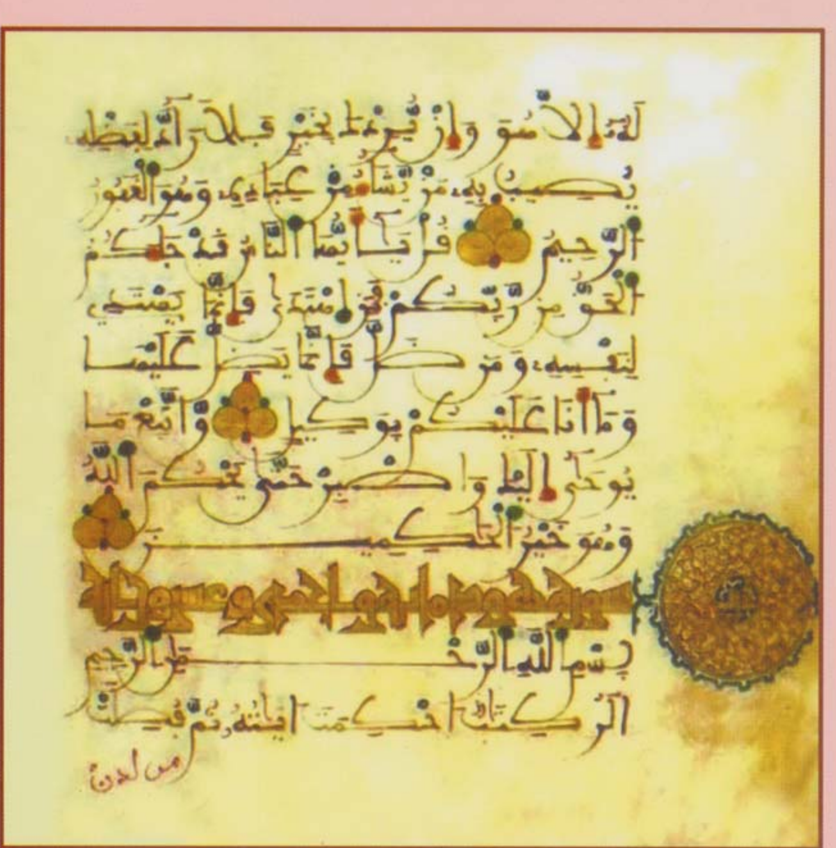

له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها
وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما
يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين
[illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت
من لدن

استعمال الألوان
في
اصطلاحات ضبط المصاحف
عند علماء الأندلس والمغرب
بين التأصيل الفقهي والتطبيق المنهجي

إعداد

د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ
وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

الآيتان: 27 و28 من سورة فاطر.

الكتاب : استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف
عند علماء الأندلس والمغرب بين التأصيل الفقهي
والتطبيق المنهجي
المؤلف : مولاي محمد الإدريسي الطاهري
كلية الشريعة - أكادير
البريد الإليكتروني : alidrissi63@yahoo.fr
الناشر : المؤلف
الطبعة : الأولى 1430هـ - 2009م
الحقوق : © جميع الحقوق محفوظة
المطبعة : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
الإيداع : القانوني رقم 2009 MO 1441

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من المعلوم بالضرورة لدى كل عاقل متفكر في ملكُوت الله عز وجل، أن الألوان سر من أسرار الله الخفية، وآية من آياته الواضحة المعجزة، التي تُظهر بديعَ صُنعه وكمالِ قدرته، وَتدُل على وحدانيته في ألوهيته وربوبيته.

وَمن حكمة الله عز وجل في هذه الألوان، أن خَلَق فيها مِن خَصائص الزينة والجمال، ما يَسُرُّ كلَّ ناظر، وَأودعها من خواصِّ الإيضاح والبيان، وأدوات التمييز بين المتشاكلات والمشتبهات، مَا يمهد السبيل أمام الإدراك السليم للحقائق.

وَلَعل مَا جاء في القرآن الكريم مِن ذِكرٍ للألوان في آيات بعدد، شملت الأناسيَّ والحيواناتِ والنبات والجماد، في سياق تذكير العباد بحجج الله تعالى وبراهينه الباهرة، ولفت أنظارهم إلى نعمه وآلائه، كَافٍ للدلالة على ذلك، مِن مثل قولِه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾(1)، وَقولِه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(2)، وَقولِه عز وجل:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا

---

(1)- الآية: 22 من سورة الروم.

(2)- الآيتان: 27 و28 من سورة فاطر.

مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(1)، وقولِهِ عزَّ وجـل: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(2)، وقولِهِ تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾(4).

وَلقد استأثرت ظاهرةُ الألـوان -قـديماً وحـديثاً- باهتمـام كَـثيرٍ مـن أهـل العلـم المسلمين وغيرِهم، وحاولوا -علـى اخـتلافٍ بيـنهم في الأسـسِ والمنطلقـات، وتنـوعٍ في المقاصد والغايات، وكلٌّ في مَجالِ اهتمامه- أن يستنبطوا طائفةً مما تنطوي عليه من أسرار وفوائد، ويكتشفوا بعضاً مِما فيها من دلالاتٍ ورموز، ووسائل وأغراض، لا سيَّما وأنها متعلقة تعلقاً لازماً بنِعمة البَصَر، حتى إنَّ بعض العلماء المسلمين أفردوها بالتصنيف، كما هو حَالُ أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، (ت: 456هـ)، في كتابـه: (رسـالة الألوان)(5).

وَلَمَّا أناط الشرع الحكيم بالألوان عدداً غير قليل من أحكامه في مجـالاتٍ مختلفـة، ونَصَبها أدلةً وأماراتٍ عليها، حاول بعض الباحثين المعاصرين دراسةَ أحكـام الألـوان في الفقه الإسلامي من زوايا مختلفة، فاجتهدوا في جمعها وترتيبها ودراستها، وبذلوا - خلال ذلك- جهداً مشكوراً في إبراز ثراء الشريعة الإسلامية وشمولها وكمالها.

---

(1)- الآية: 21 من سورة الزمر.

(2)- من الآية: 69 من سورة النحل.

(3)- الآية: 13 من سورة النحل.

(4)- من الآية: 69 من سورة البقرة.

(5)- طبعت بالرياض، عام: 1399هـ1979م، بتحقيق أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وآخرين.

ومن أبرز ما علمتُ بإنجازه في هذا الباب، دراسة جامعية بعنوان: (**أحكام اللون في الفقه الإسلامي**)(1).

وقد قسم الباحثُ رسالتَه إلى خمسة عشر فصلا، انتظمها ثلاثة أبواب، خصص الأولَ منها لأحكام اللون في العبادات، والثاني لأحكام اللون في غير العبادات، والثالث في الأحكام الطبية الخاصة باللون.

وحاول بين يدي موضوعه الاستفادةَ من معظم ما كُتب في موضوع الألوان قبله، مما له صلة بموضوع بحثه، وقام بدراسته دراسة نقدية، واستدرك ما رآه جديراً باستدراكه.

بَيد أني بعد الاطلاع على أبواب هذه الدراسة وفصولها ومباحثها ومطالبها -على وفرتها-، وجدت الباحث لم يتطرق -شأنه شأن مَن تقدمه- إلى الموضوع الذي نحن بصدده، وهو استعمال الألوان في كتابة المصاحف عامة، وفي اصطلاحات الضبط عند علماء المغرب والأندلس خاصة، مما يجعل المحاولة التي نحن بسبيلها، لا تخلو من جِدة على أكثر من صعيد، وإن كان نُثارُ مادتها لا يُعدم في بعض المظان الفقهية، ومصنفاتِ فن الضبط، وهجاء المصاحف.

وقد وَاكبت ظاهرةُ التلوين كتابةَ وضبطَ مصاحف الأمصار منذ العصور الأولى، -بمقادير متفاوتة- وأضحى التلوين -لقرون عديدة، خاصة في الأندلس والمغرب- ميزة من ميزاتها، وخصيصة من خصائصها. ولم يُسهم في أفولها إلا ظهور المطابع، واستصعابُها -في نُسَخها الأولى- استعمالَ أكثر من لون في مصحف واحد.

وكاد التلوين في المصاحف أن يُنسى ويَبيد، لولا ظهور سببٍ أعاده إلى واجهة الاهتمام، هو ما حصل من تطور هائل في التقنيات الحديثة، التي وفرت فرصاً أوسعَ

---

(1)- هو رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أعدها الباحث: وليد بن محمود قاري، سنة 1426.

لاستعمال الألوان، وما صحب ذلك من رغبة أكيدة لدى القائمين على خدمة القرآن الكريم في استعمال شتى الوسائل العلمية والتقنية المتاحة.

وهذا هو الذي حفز ثلةً من الباحثين والمهتمين المعاصرين إلى الرجوع إلى تراث الإسلام المشرق في هذا الباب لاستنطاقه، واستمداد ما يصلح منه أن يكون عوناً على حسن استعمال التقنيات الحديثة في خدمة كتاب الله تعالى.

وتأسيساً على ما سبق، نُرومُ هذه الدراسة التي اخترت لها عنوان: (**استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف عند علماء الأندلس والمغرب، بين التأصيل الفقهي والتطبيق المنهجي**)-من بين ما ترومه- محاولةَ استكشاف جانب من جوانب اهتمام طائفة من علماء المسلمين بظاهرة الألوان، واستعمالها في رَسم وضبط ألفاظ القرآن الكريم من الناحية النظرية، ورصد الرأي الفقهي فيها من خلال جمع ما تناثر من أقوال أهل العلم في ذلك، ومحاولة ترتيبها وقراءتها وفهمها، وعرضها منهجيا، ثُم الوقوف على الألوان المستعملة في اصطلاحات الضبط عند الأندلسيين والمغاربة، ومجالات الاستعمال، في أُفق الاستهداءِ بكل ذلك في خدمة كتاب الله عز وجل رسماً وضبطاً وتعلُّماً وتعليماً، على ضوء التقدم الهائل الحاصل في التقنيات الحديثة التي تتيح الاستعمال الأسهل والأمثل، لهذه الظاهرة.

وقد ارتأيت معالجة هذا الموضوع وفق المفردات المبسوطة في الخطة الآتية:

التمهيد: تحديد مفاهيم بعض مصطلحات العنوان:

-**أولا**: مفهوم (اللون).

-**ثانيا**: مفهوم (اصطلاحات الضبط).

-**ثالثا**: مفهوم (علماء الأندلس والمغرب).

المبحث الأول:

استعمال الألوان في كتابة المصاحف: (ظروف نشأته وتطوره، وتأصيله الفقهي):

-**المطلب الأول**: ظروف نشأة وتطور استعمال الألوان في كتابة المصاحف.

-**المطلب الثاني**: التأصيل الفقهي لاستعمال الألوان في كتابة المصاحف.

المبحث الثاني:

التطبيق المنهجي لاستعمال الألوان

في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب:

المطلب الأول: منهجية استعمال الألوان في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب بين الاتباع والإستنباط.

المطلب الثاني: الألوان المستعملة في اصطلاحات الضبط ومجالات تطبيقها عند علماء الأندلس والمغرب.

خاتمة: خصصتها لبعض النتائج المستخلصة.

والله العلي القدير أسأل أن يعلمني ما جهلت، وينفعني بما علمني، ويسدد قولي وعملي، ويجعل لي فيهما نية خالصة، ويتجاوز عن زللي وخطلي، ويجزل الثواب لكل من له يد عليَّ في هذا العمل وفي غيره، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وما توفيقي إلا به، عليه توكلت، وهو حسبي ووكيلي، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه شاكراً لله ومثنياً عليه
مولاي محمد الإدريسي الطاهري
عضو هيئة التدريس بجامعة القرويين
كلية الشريعة بأكادير
بتاريخ: 02 صفر 1430هـ
الموافق ل: 29 يناير 2009م

التمهيد:

(تحديد مفاهيم بعض مصطلحات العنوان).

ليس يخفى ما تثيره المصطلحات العلمية من الإشكالات المبنية على اختلاف الرؤى والأفكار، وما يترتب عليه من اختلاف في النتائج والأحكام، وما يستوجبه ذلك كله من ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم وبيان الدلالات.

من أجل ذلك، ارتأيت أن أمهد للموضوع بتمهيد أحاول فيه التعريف ببعض المكونات الأساسية للعنوان، وضبط مفاهيمها المقصودة. ومن أهم هذه المكونات:

-أولا: مفهوم اللون:

لَمَّا استأثرت الألوان باهتمام علماء الإسلام قديماً وحديثاً -كما تقدم-، كان من المناسب أن نسترشد بأقوالهم في محاولة تحديد مفهوم الألوان ودلالاتها، مما سيعيننا على فهم هذه الظاهرة في سياقها المعرفي، والتطبيقي.

قال أبو الحسن ابن سيده(1) (ت: 458هـ): «لونُ كلِّ شيء: ما فَصل بينه وبين غيره. والجمعُ ألوانٌ. وقد تلوَّن ولوَّن ولوَّنه. والألوان: الضُّروبُ...».

وقال جار الله الزمخشري(2) (ت: 528هـ): «...خَالف عَزَّ وعلا بين هذه الأشياء، حتى لا تكاد تُسمع منطقين متفقين...وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنويعها. ولاِختلافِ ذلك، وقع التعارُف، وإلاَّ فلَو اتفقَت وتشاكلت، وكانت ضرباً واحداً، لوقع التَّجاهل والاِلتباسُ، ولَتَعطَّلت مصالح كثيرة».

---

(1)- المحكم (لون): 10/ 426.

(2)- الكشاف: 3/ 473.

وقال ابن الجوزي(1): «والمراد باختلاف الألوانِ اختلافُ الصور، فلا تشتبه صورتان مع التَّشاكُل».

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور(2): «والألوانُ جمع لون، وهو عَرَض، أي كيفيةٌ تعرض لسطوح الأجسام، يُكيِّفه النورُ كيفياتٍ مختلفة على اختلاف ما يحصل منها عند انعكاسها إلى عدسات الأعين، من شِبه الظلمة وهو لون السواد، وشِبه الصبح، وهو لون البياض. فهما الأصلان للألوان، وتنشق منها ألوان كثيرة، وُضعت لها أسماء اصطلاحية وتشبيهة».

وقال في موضع آخر من تفسيره(3): «والألوان: جمع لون، وهو كيفيةٌ لسطوح الأجسام مدركَةٌ بالبَصَر، تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخلقة، أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف. وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوانٌ غير متناهية....

ونيط الاستدلال باختلافِ الألوان بوصف التَّذَكُّر، لأنه استدلال يحصل بمجرد تذكر الألوان المختلفة، إذ هي مشهورة».

وقال: «وَضُرِب اختلافُ الظواهر في أفراد الصنف الواحِدِ مَثلاً، لاختلاف البواطنِ، تقريباً للأفهام»(4).

ونخلص من خلال ما انتخبناه من أقوال بعض اللغويين والمفسرين في مفهوم اللون، أنه كيفيةٌ لسطوح الأجسام مُدرَكةٌ بالبَصر، ومعيارٌ للفصل بين الشيء وغيره، ووسيلةٌ من وسائل الفهم والإدراك والتذَكُّر والتقريب للأفهام، وشكلٌ من أشكال التمييز بين الصور المتَشابهة والظواهر المتشاكلة، ومهيَعٌ من مهايع رفعِ اللبس وإزالة

---

(1)- زاد المسير: 6/ 295.

(2)- التحرير والتنوير: 22/ 300.

(3)- التحرير والتنوير: 14/ 118.

(4)- التحرير والتنوير: 22/ 300.

الخفاء، وهو قَبلَ هذا وذاك -كما قَد سلَف- سِرٌّ من أسرار الله تعالى، وآية من آياته الدالة على أنه خالق كل شيء، وأنه الرَّب وحده، المستحق أن يعبد وحده(1).

ولعل العلماء الذين استعملوا الألوان في كتابة المصاحف وضبطها، لم يكونوا غافلين عن هذه الحقائق مجتمعة، بل كانوا على بينة من أمرهم في إدراك جدوى الألوان وفاعليتها، لا سيَّما في الأغراض التعليمية، التي ترتكز أساساً على وسائل البيان والإيضاح، وأدوات الفهم والإدرك.

وإلى جانب ما ذُكر، فإن الألوان تنطوي أيضاً على قيمة جمالية، لم تعزب عن أذهان مستعملي الألوان في المصاحف، وهو ما وجدته منصوصاً عليه عند بعضهم(2).

ثانياً: مفهوم اصطلاحات الضبط:

الضبط لُغةً: «لُزومُ الشيءِ وحبسُهُ. ضَبطَ عَليهِ وضبطهُ يضبُطُ ضبطاً وضَباطَةً»(3).

ونقل الأزهري عن اللَّيثِ قوله: «الضبطُ: لزومُ شيء لا يفارقه في كل شيء»(4).

وَضَبطُ الشيءِ؛ حفظُه بالحزم(5).

---

(1)- انظر أضواء البيان: 3/ 276.

(2)- من ذلك قول أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين: 1/ 276: «ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها، فإنها تزيين وتبيين». وقول أبي عبد الله التنسي في الطراز في شرح ضبط الخراز: 157: «لما كانت علامة ما خرج عن أصله كالتنوين المحذوف والمقلوب عندهم بالحمرة، وعلامة ما طرأ عليه معنى لم يكن له بالأصالة كالشد والإشباع والإشمام ونحوه بالحمرة أيضا، وكان في المغير المعنيان، جعلوه بالحمرة طردا للباب، ثم اختاروا من بقية الألوان للمحقق الصفرة إذ هي أشرفها، حسبما أخبر الله تعالى من أنها ﴿تَسُرُّ النَّـٰظِرِينَ﴾، وحسب ما ذكر المفسرون هنالك والله أعلم».

(3)- المحكم لابن سيده: (ضبط). ومثله في اللسان: (ضبط).

(4)- تهذيب اللغة للأزهري: (ضبط). ومثله في اللسان: (ضبط).

(5)- اللسان: (ضبط).

أما في الاصطلاح: فهو «علاماتٌ مخصوصةٌ تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة أو سكون أو مد أو تنوين أو شد ...أو نحو ذلك»(1).

أما فن الضبط، فهو: «علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف التي هي الفتح والضم والكسر والسكون والشد والمد ونحو ذلك....ويرادف الضبط الشكل.

وأما النقط، فيطلق بالاشتراك على ما يطلق عليه الضبط والشكل، وعلى الإعجام الدال على ذات الحرف، وهو النقط أفراداً وأزواجاً المميِّزُ بين الحرف المعجم والمهمل»(2).

ومن فوائده: «إزالةُ اللَّبس عن الحروف، بحيث إن الحرف إذا ضُبط بما يدل على تحريكه بإحدى الحركات الثلاث، لا يَلتَبِس بالمتحرِّك بغيرها، وإذا ضُبط بما يدل على التشديد لا يلتبس بالحرف المخفف، وإذا ضبط بما يدل على زيادته لا يلتبس بالحرف الأصلي، وهكذا»(3).

ويبدو أن المصطلح الذي شاع في القرون الأربعة الأولى عَلَماً على هذا العِلم المستقل عن هجاء المصاحفِ، هو النقط والشكل، ولم يبرز مصطلح الضبط -في ما بَدَا لِي- إلا مع الشيخين:

أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت: 444هـ)(4)، في قوله في مقدمة كتاب النقط الذي ذيل به كتاب المقنع: «وإني لما أتيت في كتابي هذا على جميع ما تضمنت ذكره في أوله من مرسوم المصاحف، رأيت أن أصل ذلك بذكر أصول كافية

---

(1)- سمير الطالبين في ضبط ورسم الكتاب المبين: 109.

(2)- دليل الحيران على مورد الضمآن: 201.

(3)- دليل الحيران: 201.

(4)- ترجمته في معرفة القراء الكبار، للذهبي: 2/ 773، وغاية النهاية، لابن الجزري: 1/ 503.

ونكت مقنعة في معرفة نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة،...»⁽1⁾؛

وأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي، (ت: 496هـ)⁽2⁾، الذي سمى كتابه: (أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار).

ولعل استعمال الشيخين وَمَن جاء بعدهما لمصطلح الضبط، في مقابل علم الرسم، أدعى لأَمْنِ اللَّبس الذي يُمكن أن يُحدثه مصطلح النقط، الحامِل -بالاشتراك- لأكثر من دلالة.

وبناءً على ما ذُكر، فإنني أعني باصطلاحات الضبط، جميع ما استنبطه العُلماء من العلامات الدالة على عوارض الحروف، كالحركة والسكون والشد والمط، والساقط والزائد، وغير ذلك مما استُحدِث في المصاحف المجردة، مما يُعرفُ بعلم نقط المصاحفِ عند العلماء المتقدمين، وبعلم الضبط عند المتأخرين.

-ثالثاً: مفهوم علماء الأندلس والمغرب.

أعني بعلماء الأندلس والمغرب، طائفة من أعلام الغرب الإسلامي بأقطاره المختلفة، الذين أفردوا علم الضبط بالتأليف والتصنيف، وبذلوا جهداً كبيراً في إقامة دعائمه وتوطيد بنيانه، متَّبعين سَنَن من كان قبلهم من العلماء الأثبات، مع الدراية والأمانة والضبط وحسن البيان.

---

(1)- المقنع في رسم مصاحف الأمصار: 132. كما أن عنوان كتابه المحكم، تضمن ضمن ألفاظه هذا المصطلح، كما هو مسطر في أصل مخطوطة الكتاب؛ وهو: (كتاب المحكم في نقط المصاحف وكيفية ضبطها في صيغة التلاوة، ومذاهب أئمة القراءة ومنهاج الناقطين وسنن النحويين مع بيان علله وشرح وجوهه وإيضاح مشكله وتلخيص معانيه). انظر المحكم: 39.

(2)- ترجمته في معرفة القراء الكبار: 2/ 862، وغاية النهاية: 1/ 316.

ومن بين الأعلام الذين تهيأ لي الوقوف على بعض جهودهم في هذا الباب - أصالةً أو بواسطة-:

* أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، صاحب كتاب (المحكم في نقط المصاحف)(1)، وكتاب (النقط) الذي ألحق بكتاب (المقنع في معرفة مصاحف الأمصار)(2).

* أبو داود سليمان بن نجاح، صاحب كتاب (أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار)(3)، الذي جعله ذيلاً لكتابه (مختصر التبيين لهجاء التنزيل).

* أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن وثيق الأموي الأندلسي الإشبيلي المقرئ، (ت: 654هـ) صاحب كتاب (الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف)، وضمنه فصل في معرفة الضبط(4).

* أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي الفاسي الشهير بالخراز، (ت: 718هـ)(5)، صاحب الأرجوزة المشهورة: (مورد الظمآن) في علم الرسم، وذيلِها في فَنِّ الضبطِ، المشهورِ بـ(ضبط الخراز)(6).

وقد حظيت أرجوزة مورد الظمآن، وذيلها (عمدة البيان) في الضبط، بعناية فائقة من قبل جمهور علماء الضبط ونقاط المصاحف ومصححيها في مختلف الأصقاع، دراسة

---

(1)- طبع أكثر من مرة، بتحقيق الدكتور عزة حسن.

(2)- طبع أكثر من مرة، أولاها بإستانبول سنة 1932، باعتناء المستشرق الألماني: أوتوبرتزل.

(3)- طبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بتحقيق الدكتور أحمد شرشال.

(4)- طبع ببغداد بتحقيق الدكتور غانم قدوري حمد سنة 1408هـ

(5)- تنظر ترجمته مع مصادرها في كتاب القراء والقراءات بالمغرب، للشيخ سعيد أعراب: 34، وكتاب قراءة الإمام نافع عند المغاربة للدكتور عبد الهادي حميتو: 2/ 385، ومقدمة الدكتور أحمد شرشال لتحقيق كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز: 93، وفي غيرها.

(6)- هي (عمدة البيان) الضبطية، كما سماها الدكتور عبد الهادي حميتو، تمييزا لها عن (عمدة البيان) الرسمية للمصنف نفسه. انظر تحقيق ذلك في كتاب قراءة الإمام نافع: 2/ 391.

Twitter: @almosahm

وحفظاً ورواية وشرحاً وتأصيلا وتعقيباً واعتماداً وتطبيقاً(1)، حتى كادت في مرحلة تاريخية تحجب الأنظار عن مصنفات الشيخين أبي عمرو وأبي داود.

ومن بين الذين وقفنا على جهودهم في هذا الباب، واستفدنا من بعضها -أيضاً- في موضوع استعمال الألوان:

-الحسن بن علي بن أبي بكر المنبهي الشهير بالشباني من أعلام القرن التاسع، صاحب (كشف الغمام في ضبط مرسوم الإمام)، وهو شرح لضبط الخراز(2).

- أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي السوسي المغربي، (ت: 899هـ)(3)، صاحب كتاب: (تنبيه العطشان على مورد الظمآن)(4)، و(حلة الأعيان على عمدة البيان)(5).

---

(1)- انظر جرداً مفصلا لما ألف حول مورد الظمآن، وعمدة البيان، في كتاب القراء والقراءات بالمغرب: 43 وما بعدها، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 431 وما بعدها، ومقدمة تحقيق كتاب الطراز: 107، وما بعدها.

(2)- انظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 475. وذكر الدكتور عبد الهادي حميتو أيضا أنه قدم لشرحه هذا بتقديم قسمه إلى عشرة فصول، عقد الفصل العاشر منها للحديث عن الألوان المستعملة لضبط المصاحف ونقطها. ولم أقف عليه.

(3)- ترجمته مفصلة في: مقدمة تحقيق كتابه: (رفع النقاب عن تنقيح الشهاب)، للأستاذين: الدكتور أحمد بن محمد السراح، والدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ومقدمة تحقيق كتابه الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، للدكتور إدريس عزوزي.

(4)- حققه الأستاذ ميلود الضعيف في رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس، سنة 1994م، تحت إشراف أستاذنا فضيلة الدكتور التهامي الرجي الهاشمي حفظه الله.

(5)- مخطوط. بالمغرب الأقصى وتونس. انظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 479، ومقدمة تحقيق الطراز: 88.

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأموي التَّنَسِي التّلمساني (ت: 899هـ)(1)، صاحب كتاب (الطراز في شرح ضبط الخراز)(2).

-إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، (ت: 1341هـ) صاحب (دليل الحيران على مورد الظمآن)، الذي شرح فيه موردَ الظمآن وذَيْلَهُ معاً(3).

هذا فضلا عن أعلام آخرين، تطرقوا إلى الضبط بالألوان في تضاعيف مصنفاتهم، كأبي بكر بن أبي محمد عبد الغني التونسي المشهور باللبيب(4)، في كتابه: (الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة)(5)، وأبي عبد الله محمد بن سليمان القيسي الضرير، شيخ الجماعة بفاس، (ت: 810هـ)(6)، في أرجوزته في الضبط المعروفة بـ(الميمونة الفريدة في نقط المصاحف للسبعة)(7)، وأبي وكيل ميمون بن مساعد مولى أبي عبد الله الفخار، (ت: 816هـ)(8)، في قصيدته في الضبط، المسماة بـ: (المورد الروي في ضبط قول ربنا العلي)، وأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي، (ت: 1082هـ)، في كتابه: (الجامع المفيد لأحكام

---

(1)- ترجمته مفصلة مع مصادرها في مقدمة تحقيق الطراز: 123.

(2)- طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، بتحقيق الدكتور أحمد شرشال.

(3)- طبع أكثر من مرة، أولاها بالمطبعة التونسية، سنة: 1325هـ.

(4)- مجهول الترجمة، وتوفي قبل سنة 736هـ، على ما حققه الدكتور عبد الهادي حميتو في قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 133.

(5)- حققه الأستاذ عبد العالي أيت زعبول، في رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا، بجامعة محمد الخامس، سنة 1413هـ، تحت إشراف أستاذنا فضيلة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي حفظه الله.

(6)- ترجمته مفصلة في قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 3/ 413، وضمنها التعريف بالميمونة الفريدة.

(7)- أرجوزة في أزيد من ألفي بيت. انظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/ 488.

(8)- ترجمته مفصلة في: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 3/ 485، وضمنها التعريف بالمورد الروي.

الرسم والضبط والقراءة والتجويد)، والطالب عبد الله بن محمد الأمين بن فال الجكني الشنقيطي، في منظومته المسماة: (الْمُحتَوِيُّ الجامعُ رَسمَ الصحابةِ ثُمَّ ضَبطَ التَّابعِ)[1].

---

(1)- شرحها أحمد مالك الأزهري، وسمى شرحه (مفتاح الأمان)، كما شرحها أبو عبد الرحمن عبد الله بن سليمان بن أجدود الشنقيطي، وسمى شرحه: (كتاب الضبط لعلمي الرسمم والضبط). وكلا الشرحين مطبوع.

المبحث الأول:
استعمال الألوان في كتابة المصاحف:
(ظروف نشأته، وتأصيله الفقهي).

ارتبطت ظاهرة التلوين بالمصاحف ارتباطاً وثيقاً منذ أمدٍ بعيد، وتنوع استعمالها لأكثر من غرض، وبمستويات متفاوتة، حتى أضحت واحدة من أهم خصائصها.

وإن النظر المجرد في ما احتفظت به المتاحف والمكتبات العامة والخاصة من أصول نُسخ المصاحف، لكفيل بأن يُؤكد هذه الحقيقة.

وقد اتخذ استعمال الألوان في المصاحف مظهرين عامين متوازيين:

-**المظهر الأول**: يتعلق بزخرفة المصاحف وتزيينها وتحليتها بماء الذهب والفضة وغيرها، وقد كان للنظر الفقهي فيه كلام يتراوح في جملته بين من لا يجيزه لعلل قائمة، وبين من لا يرى فيه مخالفة شرعية(1).

وهذا الموضوع وإن كان خليقاً بالبحث والدراسة، فإنه ليس مما نحن بسبيله.

-**أما المظهر الثاني**: فيتعلق باستعمال الألوان في ضبط المصاحف، وهو الموضوع الذي يعنينا بسطُ الكلام فيه من خلال ما سنعقده من مباحث ومطالب.

ويهدف هذا المبحث، -ضمن ما يهدف- إلى رصد هذه الظاهرة، من خلال الوقوف على ظروف نشأتها وتطورها خاصة في القرون الثلاثة الأولى، وبيان أسبابها ومظاهرها.

ولما كان استعمال الألوان في المصاحف أمراً محدثاً، لم يُعهد في الصدر الأول من تاريخ المسلمين -شأنه شأن ظواهر أخرى، كالنقط والشكل، وغير ذلك مما طرأ على

---

(1)- انظر -على سبيل المثال- طائفة من أقوال الأئمة في ذلك في: باب في المصحف يُحلَّى، وباب مَن رخص في حلية المصحف، في كتاب فضائل القرآن، من مصنف ابن أبي شيبة: 10/ 268 و269.

المصاحف المجردة-، اقتضى المقام القيام برصد النظر الفقهي في ذلك، من خلال جمع ما تيسر من أقوال أهل العلم، وترتيبها، وقراءتها، وفهمها، وعرضها، تمهيداً للاستنارة به في بلورة الرأي الفقهي السديد في استعمال الألوان للأغراض التعليمية في عصرنا، كما تتيحه التقنيات الحديثة المبتكرة، خدمة للقرآن الكريم وأهله.

المطلب الأول:

ظروف نشأة استعمال الألوان في كتابة المصاحف

سبقت الإشارة إلى أن التَّلوين ظاهرة رافقت -بشكل عام- المصاحف منذ النشأة الأولى. ذلك أن الأدوات التي استعملت في كتابة المصاحف منذ ظهورها في عهد صحابة رسول الله ﷺ، لا تعدو لوناً من الألوان، وهو في الأغلب الأعم لون السواد، أو ما يشاكله، كما أن القراطيس التي رسمت فيها ألفاظ القرآن الكريم لا تعدو أيضاً لوناً من الألوان، وهو في الأغلب الأعم لون البياض أو ما يقاربه.

أما خارج النطاق المذكور، فقد برز التلوين أيضاً في المصاحف، منذ عصر الصحابة وكبار التابعين، لَمَّا استُحدث النقط أول ما استحدث.

وآية ذلك، ما تداولته الروايات مِن أن أبا الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي (ت: 69هـ)[1]-وهو أول من أحدث نقط الإعراب في المصاحف على غير مثال، لحاجة ملجئة وضرورة ملحة-، أمَر باستعمال صِبْغٍ يخالف لون المداد، حتى لا يلتبس المرسوم الذي كان من عمل صحابة رسول الله ﷺ، بالنقط الذي أُحدِث.

---

(1)- هو ابو الأسود ظالم بن عمرو، ولد في أيام النبوة، وحدث عن عمر وعلي وأبي بن كعب، وغيرهم من كبار الصحابة ﷺ، ولي قضاء البصرة زمن علي بن أبي طالب، توفي سنة تسع وستين. سير أعلام النبلاء: 4/ 81.

ومن ذلك ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري المقرئ النحوي (ت: 304 هـ)[1] في رواية طويلة، أقتبس منها ما يلي:

«...فبعث زيادٌ[2] إلى أبي الأسود فقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يُصلح به الناس كلامهم ويُعربون به كتاب الله، فأبى ذلك أبو الأسود ، وكره إجابة زياد إلى ما سأل. فوجه زياد رجلا وقال له: اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مَرَّ بك فاقرأ شيئاً من القرآن، وتعمَّد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مَرَّ به أبو الأسود، رفع الرجلُ صوته، يقرأ، ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ﴾[3]، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عَز وجهُ الله أن يبرأ من رسولِه، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال له: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلَيَّ بثلاثين رجلاً، فأحضَرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال، خذ المصحف وصِبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ شفتَيَّ فانقُط واحدةً فوق الحرفِ، وإذا ضممتُها، فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كَسرتُها فاجعل النقطةَ في أسفله، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنةً فانقُط نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك».

---

[1] (1)- إيضاح الوقف والابتداء: 40 و41. ونحو هذه الرواية في كتاب المحكم للداني: 3، وكتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 132.

[2] (2)- هو زياد بن أبيه، والي المِصرين البصرة والكوفة، في عهد معاوية بن أبي سفيان. انظر سير أعلام النبلاء: 3/ 496، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: 196.

[3] (3)- يعني بكسر اللام في ﴿وَرَسولِه﴾. والشاهد من الآية: 3 من سورة التوبة.

* ولم يتضح من قول أبي الأسود اللونُ الذي وقع عليه الاختيار في النَّقط المذكور، لكون الصبغ في كلام العرب يطلق على التغيير(1)، لكن الظن الغالب، يميل إلى أن اللون الأحمر أولُ ما استُعمل في ذلك، ويقوي هذا الميل جملة من الروايات التي تم التنصيص فيها على اللون الأحمر، ومنها ما رواه ابن أبي شيبة عن الحسن بن أبي الحسن، قال: «لا بأس بنقطها بالأحمر»(2).

وليس ببعيد أن الحسن (ت: 110هـ)، لم يُبدِ هذا الرأي، إلا لكون التلوين أمراً واقعاً في المصاحف في عصره.

ويُقوي هذا الظن أيضاً ما ذكره أبو عمرو الداني وغيره، من أن نقاط أهل العراق يستعملون اللون الأحمر وحده لضبط الحركات والهمزات معاً، خلافاً لأهل المدينة كما سيأتي، «وبذلك تُعرف مصاحفهم وتميز من غيرها»(3).

* وإلى جانب اللون الأحمر، فقد شاع استعمال اللون الأصفر، في مصاحف أهل المدينة في مراحل متقدمة، وهو ما أشار إليه أبو عمرو الداني في قوله(4): «والذي يستعمله نقاط أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه من الألوان، في نقط مصاحفهم الحمرة والصفرة لاغير، فأما الحمرة فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة فللهمزات خاصة».

---

(1)- انظر تهذيب اللغة للأزهري (صبغ)؛ وفيه: «والصبغ في كلام العرب التغير، ومنه صُبغ الثوب: إذا غير لونه وأزيل عن حاله إلى حال سوادٍ أو حمرة أو صفرة».

(2)- في باب نقط المصاحف في فضائل القرآن من المصنف: 10/ 283. وأورد قولَ الحسن أيضاً الداني في المحكم: 12.

(3)- المحكم: 20.

(4)- المحكم: 19.

وعزز قوله هذا بما رواه عن قالون (ت: 220هـ)(1)، «أن في مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مخفف، فعليه دارة حمراء، وإن كان حرفاً مسكّنا فكذلك أيضاً..وما كان من الحروف التي بنقط الصفرةِ فمهموزةٌ»(2).

وقال في اختياره: «وأرى أن يُستعمل للنقط لونان: الحمرة والصفرة، فتكون الحمرة للحركات، والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد، وتكون الصفرة للهمزات خاصة، وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة»(3).

* أما اللون الأخضر فقد نُصَّ على استعماله في أكثر من وجه.

وممن نَصَّ عليه من الأعلام:

*- أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت: 316هـ)، في معرض عرضه لأقوال الأئمة في كيفية نقط المصاحف.

فقد قال نقلا عن أبي عمرو بن العلاء البصري (ت: 154هـ): «وأما إذا كانت الهمزتان مختلفتين فإن همزتهما نقطت على الألف الأولى نقطة بين يديها، وعلى الأخرى نقطة فوقها، مثل ﴿السُّفَهَآءُ أَلَآ﴾(4)، وإن شئت تركت همزة الأولى، وهو قول أبي عمرو

---

(1)- هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد الزرقي ويقال المري الملقب بقالون، قارئ المدينة ونحويها، ربيب نافع المدني، اختص به كثيراً وروى قراءاته، توفي سنة عشرين ومائتين. معرفة القراء: 1/ 326، وغاية النهاية: 1/ 615.

(2)- المحكم: 20.

(3)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 134.

(4)- من الآية: 13 من سورة البقرة.

ابن العلاء[1]: إذا اختلفتا تركتَ الآخرةَ ولم تنقط عليها. وإن أحببت فانقط عليها بخضرة ليُعرف أنها تُقرأ على وجهين. وكلما فيه وجهان، فانقط بالخضرة والحمرة»[2].

وقال أيضاً: «وإذا جاءتا متفقتين على ما ذكرت، فمن همز همزتين نقطها جميعا، على الف ﴿جآء﴾، من بعدها في أعلاها، لأنها ممدودة، وعلى الف ﴿أمرُنـا﴾ في قفاها، لأنها مقصورة. ومن قال بقول أبي عمرو لم ينقط على الف ﴿جآء﴾ شيئاً إلا بالخضرة»[3].

*- وأبو بكر احمد بن موسى ابن مجاهد (ت: 324هـ)[4] الذي قال في ما نقل عنه أبو عمرو الداني: «وقد كان بعض من يُحب أن يزيدَ في بيان النقط، ممن يَستعمل المصحف لِنفسه، يَنقُط الرفع والخفض والنصب بالحمرة، ويَنقُط الهمز مجرداً بالخضرة، ويَنقُط المشدد بالصفرة، كلُّ ذلك بقلَم مُدَوَّرٍ»[5].

*- وأبو عمرو الداني؛ في قوله: «وان استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا قديماً، فلا أرى بذلك بأساً إن شاء الله، وبالله التوفيق»[6].

---

(1)- هو أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله ...التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، سمع بعض الصحابة، و قرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري وغيره، توفي سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل غير ذلك. معرفة القراء: 1/ 223، وغاية النهاية: 1/ 288.

(2)- كتاب المصاحف: 536.

(3)- كتاب المصاحف: 537.

(4)- هو أبو بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبَّع السبعة، اشتهر أمره، مَعَ الدِّينِ والحفظ والخير، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. معرفة القراء: 2/ 533، وغاية النهاية: 1/ 139.

(5)- المحكم: 23.

(6)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 134.

على أن بعض أهل الكوفة والبصرة، استعملوا اللون الأخضر لنقط الحروف الشواذ في المصاحف، وربما جعلوا الخضرة للقراءة المشهورة الصحيحة، وجعلوا الحمرة للقراءة الشاذة المتروكَة، وهو ما لم يَرُق جماعةً من العلماء(1) كما سيأتي في حينِهِ.

وَثَمّتَ لونٌ آخر، استُعمِل في نطاق محدود، أشارَ إليه بعض أهل العلم الأندلسيين، كأبي عمرو الداني(2)، وأبي داود(3)، وابن وثيق(4)، وهو: اللاّزَوَرْد(5).

أما اللون الأسود، فقد خصصوه للمرسوم الذي هو من عمل الصحابة، وما ألحقوه بحروفه من نقط الإعجام، وسيأتي مزيد بيان لذلك، في الفقرة الأولى من المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذه الدراسة.

* ومن خلال ما أوردناه من أقوال الأئمة، نَخلص إلى إبداء طائفة من الملاحظات نجملها في ما يلي:

1- إن ظاهرة التلوين نشأت أول ما نشأت في النصف الأول من القرن الأول الهجري مع ظهور البوادر الأولى لنقط المصاحف، ثم تطورت بالموازاة مع تطور أدوات النقط والشكل.

2- إن الذي دعا السلفَ -رحمهم الله- إلى استعمال الألوان في ضبط حروف القرآن الكريم وكلماته، هو عينُه الذي دعاهم إلى إحداث النقط، والشكل، وهو «ما

---

(1)- المحكم: 20.

(2)- في كتاب المحكم: 20.

(3)- في أصول الضبط: 68

(4)- في معرفة الضبط، الملحق بكتابه: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: 156.

(5)- وهو اللون الأزرق كما ذكر الدكتور غانم قدوري محقق كتاب الجامع المتقدم. وفي مفتاح الأمان: 149: «ونقطة الابتداء تكتب بمداد أخضر، كاللازورد وهو معدن أخضر». ولم أقف على هذا اللفظ في معاجم اللغة العربية، ولعله من الكلمات المعربة التي شاعت في بلاد الأندلس.

شاهدوه من أهل عصرهم، مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها، من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتغير طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام وتطاول الأزمان من تزيد ذلك، وتضاعفه في من يأتي بعد، ممن هو -لا شك- في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه، ممن عرض له الفساد ودخل عليه اللحن لكي يُرجع إلى نقطها ويُصار إلى شكلها عند دخول الشكوك، وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك إعراب الكلم، وتدرك به كيفية الألفاظ»(1).

وجاء في رواية أخرى لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ت: 360هـ)(2) في سبب إحداث النقط: «فلما انتشر التصحيف بالعراق، فزع الْحَجَّاج إلى كُتَّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف، المشتبهة علامات، فوضعوا النقط أفراداً وازدواجاً، وخالفوا في أماكنها بتوقيع بعضها فوق بعض الحروف، وبعضها تحت الحروف، فغبر الناس بعد حدوث النقط زماناً طويلاً لا يكتبون دفتراً ولا كتاباً إلا منقوطاً، فكان مع استعمالهم النقط يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام..».

أما التلوين في النقط والشكل، فبالإضافة إلى ما ذُكر، فإن السلف -رضوان الله عليهم- حرصوا أشدَّ الحرص على التمييز بين ما هو من صميم الهجاء الذي صنعه صحابة رسول الله ﷺ، وما هو من قبيل الضبط الذي أحدثه التابعون.

ثُم إن التلوين كما قال أبوبكر ابن مجاهد: «...أسرعُ إلى فهم القارئ، من النقط بلون واحد»(3).

---

(1)- انظر المحكم: 19.

(2)- في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف: 27.

(3)- في ما نقل عنه الداني في المحكم: 24.

3- إن التلوين كان شائعاً -بدرجات متفاوتة- قبل ظهور نقط الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ). ثم لما ظهر مذهب الخليل، سايره بعض النقاط، واستعملوا الألوان على وَفقه، في حين بقي البعضُ الآخر وفيّاً لمذهب أبي الأسود المتقدم، وفي طليعة هؤلاء الأندلسيون والمغاربة كما سيأتي.

4- لما كان التلوين اصطلاحاً اصطلح عليه نقاط المصاحف، لم يكن بد من أن نجد الاختلاف في ما بينهم في وجوه الاستِعمالِ وطرائقِهِ.

فمنهم من اقتصر على اللون الأحمر وحده، كما هو شائع في مصاحف أهل العراق، ومنهم من استعمل الأحمر والأصفر ليس غير، كما هو معروف في مصاحف أهل المدينة، ومنهم من استعمل الأحمر والأصفر والأخضر جميعاً كما في مصاحف أهل الأندلس والمغرب، كما سيأتي في حينه.

كما أن من هؤلاء من استعمل لوناً معيناً في غير ما استعمله فيه الآخر.

5- لم يكن المتقدمون من علماء الضبط في القرون الثلاثة الأولى، يتوسعون في استعمال الألوان، تبعاً لعدم توسعهم في استعمال أدوات الضبط، بل حملوه على الإيجاز والتخفيف. ولعل مردَّ ذلك إلى أنهم كانوا يُراعون في ذلك ما تدعو إليه حاجة العصر الذي هم فيه، وما يحقق المقصد الذي من أجلِهِ أحدث التَّلوين.

ويُستشف دليل ذلك من قول ابن أبي داود السجستاني، في ما نقل عن أبي حاتم السجستاني (ت: 255هـ)(1): «....وإنما النقط على الإيجاز، لأنهم لو تتبعوا كما ينبغي أن ينقط عليه، فنقطوه، لَفَسَد المصحف...وإذا جاء شيء يُستدل بغيره عليه تُرك»(2).

---

(1)- هوأبوحاتم.سهل بن محمد السجستاني، نحوي البصرة ومقرئها في زمانه، وصاحب التصانيف السائرة في القراءات واللغة والنحو وغيرها، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين، وقيل قبل ذلك. معرفة القراء الكبار: 1/ 434، وغاية النهاية: 1/ 320.

(2)- كتاب المصاحف: 531.

وقولِ أبي بكر ابن مجاهد في ما نقل عنه الداني[1]: «وليس على كل حرف يقع الشكل، إنما يقع على ما إذا لم يشكَل التبس، ولو شكل الحرف من أوله إلى آخره -أعني الكلمة-، لأظلم، ولم تكن فائدة، إذ كان بعضه يؤدي عن بعض».

وقولِ أبي الحسين ابن المنادي (ت: 336هـ)[2] في ما نقل عنه أبو عمرو الداني: «النقط والشكل إنما جعلا للضرورات المشكلات يُسراً، لاَ أن يُنقط كلُّ حرف من الكلمة، سَكَن أو تحَرَّكَ. فإذا رَكِب ناقط ذلك فقد خرج عن الحدّ إلى غيره، ولا طائل في ذلك كله».

غير أن هذا الوضع سرعان ما تغير تحت وطأة الحاجة الملحة، والضرورة الملجئة، فتوسع النقاط -على اختلاف أمصارهم-، في استعمال هذه الأدوات، وتدرجوا في ذلك، حتى شمل الضبط جميع حروف وألفاظ القرآن الكريم، بما يوافق الرواية أو القراءة المعتمدة لدى كل طائفة.

وهكذا لم تمض القرون الثلاثة الأولى حتى شاع استعمال الألوان المختلفة في مصاحف الأمصار -بدرجات متفاوتة، واستعمالات مختلفة-، واستمر الوضع على ما هو عليه لقرون عديدة، حتى ظهرت المصاحف المطبوعة، واقتُصر فيها على اللون الأسود، حسبما أتاحته المطابعُ في أطوارها الأولى.

أما نقاط الأندلس والمغرب، فقد توسعوا في استعمال الألوان حتى إنهم وفروا لمصاحفهم -في آن واحد- جميعَ الألوانِ التي عُرفت في مصاحف الأمصار الأخرى، وفق منهجية مميزة، وذلك ما سنبسط القول فيه -إن شاء الله- في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

---

(1)- انظر المحكم: 23 و210.

(2)- هو أبو الحسين أحمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن المنادي، مقرئ ثقة، وحافظ متقن، وضابط محقق، توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. غاية النهاية: 1/ 44. وقوله أورده الداني في المحكم: 210.

المطلب الثاني:

التأصيل الفقهي لاستعمال الألوان في كتابة المصاحف.

لما كان موضوع التلوين -ومعه موضوع النقط والشكل- أمراً حَادثاً، لم يكن معهوداً في الصدر الأول، وارتبطَ ارتباطاً لازماً بالمصاحف، ووُجد -كما تقدم- منذ منتصف القرن الأول الهجري وصارَ أمراً واقعاً، واستمر العمل به لقرون طويلة، كان لزاماً على أهل العلم -مِن الفقهاء وغيرهم- أن يعرضوه على ميزان الشرع، كما عرضوا عليه كثيرا من الحوادث والمستجدات.

وعلى الرغم من جريان العمل بالتلوين في كتابة المصاحف، عبر قرون متتابعة من تاريخ هذه الأمة من غير تحفظ ولا نكير، فإن طائفة من العلماء، رأوا مع ذلك الحاجةَ ماسةً إلى البحث في أقوال السلف عن المذهب المرضي والرأي السديد، حتى يكونوا على بينة من الأمر.

ولعل الذي جعلهم، ينحون هذا المنحى في البحث، ما ورد عن بعض الأئمة من كراهة النقط والشكل والتخميس والتعشير في المصاحف أصالَة، وما يستلزمه ذلك من كراهة التلوين تبعاً، لكونه وسيلة من وسائله، وأداة من أدواته.

*وفي هذا السياق عقد أبو بكر عبد الله ابن أبي شيبة: (235هـ)، أبواباً في مصنفه(1)، أسند فيها -ضمن ما أسند- طائفة من الأقوال التي رواها عن أئمة السلف في

---

(1)- انظر على سبيل المثال، باب في نقط المصاحف، من كتاب فضائل القرآن من المصنف: 10/ 283، وباب من قال جردوا القرآن، من كتاب فضائل القرآن من المصنف: 10/ 271، وباب في التعشير في المصحف من كتاب الصلاة من المصنف: 3/ 3/ 568.

كراهة ذلك، وتبعه أبو عمرو الداني بين يدي كتاب المحكم(1)، فخصص باباً لذكر مَن كره نقط المصاحف من السلف. ومن هذه الأقوال:

قولُ عبد الله بن مسعود ﷺ: (جَرِّدُوا القُرآنَ ولا تَلبِسُوا به ما ليس منه)(2).

وقولُ إبراهيم النخعي (ت: 96هـ): «جردوا القرآن ولا تخلطوا به ما ليس منه»(3).

وقولُ أبي رجاء: «سألت محمداً(4) عن نقط المصاحف، فقال: إني أخاف أن يزيدوا الحروف أو ينقصوا»(5).

وقولُ مالك بن أنس (ت: 179هـ): «ولا يزال الإنسان يسألني عن نقط القرآن، فأقول له: أما الإمام من المصاحف، فلا أرى أن يُنقط، ولا يُزاد في المصاحف ما لم يكن فيها. وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم، فلا أرى بذلك بأساً»(6).

---

(1)- انظر المحكم: 10.

(2)- رواه ابن أبي شيبة في باب في التعشير في المصحف، في كتاب الصلاة من المصنف: 3/ 570، وباب من قال جردوا القرآن، في كتاب فضائل القرآن من المصنف: 10/ 271. ورواه أبو عبيد في باب نقط المصاحف وما فيه من الرخصة والكراهة، من كتاب فضائل القرآن ومعالمه: 2/ 230، بلفظ: «جردوا القرآن ولا تخلطوا به».

(3)- أخرجه أبو عبيد في باب نقط المصاحف وما فيه من الرخصة والكراهة، من كتاب فضائل القرآن ومعالمه: 2/ 230. ورواه أبوعمرو الداني عنه في باب ذكر من كره نقط المصاحف من السلف، من كتاب المحكم: 11.

(4)- يعني ابن سيرين. وهو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري الأنسي البصري، توفي سنة عشر ومائة. سير أعلام النبلاء: 4/ 606.

(5)- رواه ابن أبي شيبة في باب نقط المصاحف، في كتاب فضائل القرآن من المصنف: 10/ 283. ومثله أورده أبو عمرو الداني في المحكم: 11. وروى الداني عن خالد الحذاء: كنت أمسك على ابن سيرين في مصحف منقوط. المحكم: 13.

(6)- رواه أبو عمرو الداني عن عبد الله بن عبد الحكم عن أشهب عن مالك. انظر المحكم: 11.

وقولُه: «أما الأمهات، فلا أراه. وأما المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان فلا بأس»⁽¹⁾.

وقولُه في ما رواه عنه عبد الله بن عبد الحكم وقد سئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها، وقد كَرِه ذلك: «تعشير المصحف بالحبر لا بأس به»⁽²⁾.

وممن رُويت عنه الكراهة أيضاً: عبد الله بن عمر، وقتادة بن دعامة السدوسي، والحسن بن أبي الحسن في إحدى الروايتين عنه، وغيرهم⁽³⁾.

ويبدو -من خلال النظر في أقوال هؤلاء الأئمة ومعانيها- أنَّ كراهتهم تلك، أُسست مُجتمِعةً على ثلاثة عِلل؛ هي: الخشيةُ مِن الإحداثِ، أو خلطُ القرآن بِما ليس منه، أو التَّغيير فيه بالزيادة أو النقصان.

* وبإزاء الأئمة المذكورين، نجد من الأئمة من لم ير بأساً في نقط المصاحف.

وقد ذكر ابن أبي شيبة وأبو عمرو الداني طائفة من أقوالهم، منها:

قولُ الحسن بن أبي الحسن -في رواية أخرى عنه- لما سئل عن نقط المصاحف: «لا بأس به، ما لم تبغوا»⁽⁴⁾.

وقولُ ثابت بن معبد في ما روى عنه الأوزاعي: «العجم نور الكتاب»⁽⁵⁾.

---

(1)- انظر المحكم: 11.

(2)- انظر باب ذكر ما جاء في تعشير المصاحف وتخميسها ومَن كَرِه ذلك ومن أجازه، من المحكم: 15.

(3)- انظر باب ذكر من كره نقط المصاحف من السلف، من كتاب المحكم: 11، وكتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 133.

(4)- رواه الداني عنه في باب ذكر مَن ترخص في نقطها من المحكم: 12.

(5)- رواه الداني عنه في باب ذكر مَن ترخص في نقطها من المحكم: 12.

وقولُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن (ت: 136هـ)، لما سأله نافع بن أبي نعيم (ت: 169هـ) عن شكل القرآن في المصحف: «لا بأس به»⁽¹⁾.

وقَولُ اللَّيث بن سعد (ت: 175هـ): «لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية»⁽²⁾.

* وبناءً على ما ذُكر، فإن المسألة يتحصل فيها من مذاهب السلف ثلاثةُ أقول⁽³⁾:

-الأول: الجواز مطلقاً: وبه قال محمد بن سيرين في إحدى الروايتين عنه، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن، وغيرهما. وحجتهم في ذلك: البيانُ للمتعلمين.

-الثاني: الكراهة مطلقاً، وبه قال ابن عمر وابن مسعود وابن سيرين في الرواية الثانية عنه. وحجةُ بعضهم في ذلك، خشيةُ الابتداع، وحجةُ الآخرين، خشيةُ الالتباس بين المرسوم والضبط.

-الثالث: الكراهة في المصاحف الأمهات، والإباحة في مصاحف وألواح التعليم، وهو مذهب مالك. وحجته التوسط بين المذهبين؛ فالكراهة في الأمهات مخافة الإبتداع، والجواز لأجل البيان في حقّ المتعلمين.

قال أبو علي الشوشاوي: «والتعليل بالإحداث هو أولى، وهو رأي مالك ﷺ..»⁽⁴⁾.

---

(1)- رواه الداني عنه في باب ذكر مَن ترخص في نقطها من المحكم: 13، وكتابِ النقط الملحق بكتاب المقنع: 133.

(2)- رواه الداني عنه من طريق ابن وهب، في باب ذكر من ترخص في نقطها من المحكم: 13، وفي كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 133.

(3)- انظر تنبيه العطشان على مورد الظمآن: 175، (الطرف الذي حققه الأستاذ محمد سالم حرشة)، والفوائد الجميلة على الآيات الجليلة: 207، كلاهما لأبي علي الشوشاوي.

(4)- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة: 207.

* أما الأئمة الذين ورد التصريح بالألوان في أقوالهم، كراهة أو استحساناً، فلم أجد منهم إلا أفراداً قليلين، لكنهم لم يخرجوا -من حيث الجملة- عن المذاهب الثلاثة المذكورة، حكماً وتعليلاً. ومما وقفت عليه من أقوالهم في هذا الصدد:

-قول الحسن بن أبي الحسن، رواه عنه أبو بكر بن أبي شيبة، ونصه: «لا بأس بنقطها بالأحمر»(1).

وقول ابن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ)(2): «وكَرِه مالك وغيره النقط بالحمرة والصفرة».

وقول أبي حامد الغزالي: «رُوي عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة».

وقولٌ آخر له: «قال أبو بكر الهذلي: سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر، فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يُعربون الكلمة بالعربية. قال: أما إعراب القرآن فلا بأس به»(3).

*أما فقهاء الخلف، فكانوا كلهم يميلون إلى القول باستحباب نقط المصاحف، وما يتبعه من استعمال الألوان من حيث الجملة، وذلك لأنهم صنفوه ضمن ما رجحت مصلحته، وتلقته الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل، ولم يروا فيه ما يخالف أصلا من أصول الشريعة.

ومن الذين وقفنا على آرائهم في هذا الباب:

-أبو عمرو الداني(4)، الذي قال: «والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخُّص في ذلك في الأمهات وغيرها، ولا يرون بأسا برسم

---

(1)- في باب نقط المصاحف في فضائل القرآن من المصنف: 10/ 283. وأورد قول الحسن أيضاً الداني في المحكم: 12.

(2)- انظر النوادر والزادات: 7/ 61.

(3)- في إحياء علوم الدين: 1/ 276.

(4)- في كتاب النقط، الملحق بكتاب المقنع: 133.

فواتح السور وعدد آيها، ورسم الخموس والعشور(1) في مواضعها. والخطأ مرتفع عن إجماعهم ...».

-أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ)(2)، في قوله: «يُستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها، فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرأه».

-يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)(3)، في قوله: «اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه».

ونسب إلى العلماء قولهم: «ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه»(4).

- تقي الدين ابن تيمية (ت: 728هـ)(5) في قوله: «وحكم النقط والشكل، حكم الحروف، فإن الشكل يبين إعراب القرآن، كما يبين النقط الحروف....واحترام النقط والشكل إذا كتب المصحف مشكلا منقوطاً كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين».

* بيد أن بعضَ هؤلاء الفقهاء، لَم يَفُتهم النظر في تعليلات الأئمة الذين كَرهوا الضبط والتلوين، فَالتمسوا لها توجيهات شرعية، تُزيل الشبه، وترفع الحرج، وتتناسق مع

---

(1)- يعني بالخموس: خمس آيات، خمس آيات، وبالعشور: عشر آيات عشر آيات. انظر البيان في عد آي القرآن، للداني: 33.

(2)- في إحياء علوم الدين: 1/ 276.

(3)- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي: 122.

(4)- التبيان: 122.

(5)- مجموع الفتاوى: 12/ 586.

جرى به عمل الناس لقرون عديدة، وتناقله الناس أجيالا بعد أجيال، وتلقته الأم بالرضا والقبول.

وممن سلك هذا السبيل من الفقهاء:

ا - أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) في قوله(1): «والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فت هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات، وحسماً للباب، وتشوقاً إلى حراس القرآن عما يطرّق إليه تغييراً. وإذا لم يؤد إلى محظور، واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة، فلا بأس به.

ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً، فكم من محدث حسن، كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح، إنها من محدثات عمر ﵁، وأنها بدعة حسنة. إنما البدعة المذمومة ما يصاد السنة القديمة، أو يكاد يفضي إلى تغييرها».

وعزز رأيه هذا بما رواه عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير(2) قال: «كان القرآ مجردا في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس؛ فإن نور له. ثم أحدثوا بعده نقطاً كبارا عند منتهى الآي، فقالوا: لا بأس به؛ يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح»(3).

ب- يحيى بن شرف النووي(4) في قوله: «وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإ كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم، فلا منع، ولا يمتنع م ذلك لكونه محدَثا، فإنه من المحدثات الحسنة، فلم يمنع منه، كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك. والله أعلم».

---

(1)- في إحياء علوم الدين: 1/ 276.

(2)- قول يحيى بن أبي كثير رواه الداني في المحكم: 2. كما أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: 1/ 63.

(3)- إحياء علوم الدين: 1/ 276.

(4)- التبيان: 122.

* على أن أبا عمرو الداني -وهو ممن أجاز مبدأ استعمال الألوان في ضبط المصاحف-، حَرَص على أن يَتِمَّ ذلك وَفق منهجية سَليمة، تُحقق المقاصد التي أُحدث مِن أجلها، وتَقِي مِن الوُقوع في التغيير والخلط والإلباس، وغيرِ ذلك مما أناط به بعضُ علماء السلف كراهتهم للنقط وتوابعِه.

من أجل هذا، نَهى عن بعض الظواهر التي لا تخدم تلك المقاصد مما واكبَ استعمال الألوان، وذلك مِن قبيل:

1- نهيه عن نقط المصاحف بالسَّواد من الحبر وغيره.

وفي ذلك يقول(1): «فأما نقط المصاحف(2) بالسواد من الحبر وغيره، فلا أستجيزه، بل أنهى عنه وأنكره، اقتداءً بمن ابتدأ النقط من السلف، واتباعاً له في استعماله لذلك صبغاً يخالف لونَ المداد، إذ كان لا يُحدث في المرسوم تغييراً ولا تخليطاً، والسواد يحدث ذلك فيه. ألا ترى أنه ربما زيد في النقطة فتوهمت لأجل السواد الذي به ترسم الحروف، أنها حرف من الكلمة، فزيد في تلاوتها لذلك. ولأجل هذا وردت الكراهة عمن تقدم من الصحابة وغيرهم في نقط المصاحف».

وقال أيضا: «ولا أستجيز النقط بالسواد، لما فيه من التغيير لصورة الرسم، وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة»(3).

---

(1)- انظر المحكم: 19.

(2)- يعني بالنقط هنا نقط الحركات ونقط الإعراب، وليس نقط الإعجام الذي لا يرى الداني في لون ضبطه إلا السَّواد، كما تضافرت جملة من نصوصه على تقرير ذلك، ومنها ما ورد في المحكم: «...فلما اشتركا في المعنى، أشرك بينهما في الصورة، وجعل الإعجام بالسواد، والإعراب بغيره، فرقاً بين إعجام الحروف وبين تحريكها..». من أجل ذلك ينبغي أن يُحمل كل قول له ورد فيه النهي عن النقط بالسواد على ما سِوى نقط الإعجام.

وانظر أيضا مزيداً من التفصيل في هذه المسألة، في: اللون الأسود ومجالات استعماله..، في المطلب الثاني من المبحث الثاني مِن هذا الدراسة.

(3)- كتاب النقط، الملحق بالمقنع: 134.

وليس ذلك إلا لكونهم قصروا السَّواد[1] على المرسوم، الذي هو من عمل الصحابة ﭬ، حتَّى لا يلتبس بالضبط الذي هو من فعل التابعين رحمهم الله، ومَن بعدهم.

2- نهيه عن إدراج القراءات الشاذه في المصاحف، ونقطها بالخضرة.

وفي ذلك يقول[2]: «وطوائف من أهل الكوفة والبصرة قد يدخلون الحروف الشواذ في المصاحف، وينقطونها بالخضرة. وربما جعلوا الخضرة للقراءة المشهورة الصحيحة، وجعلوا الحمرة للقراءة الشاذة المتروكة. وذلك تخليط وتغيير. وقد كره ذلك جماعة من العلماء».

وأسند عن أحمد بن جبير الأنطاكي (ت: 258هـ)[3] قوله: «إياك والخضرة التي تكون في المصاحف. فإنه يكون فيها لحن، وخلاف للتأويل، وحروف لم يقرأ بها أحد»[4].

3- نهيه الشديد عن جمع القراءات المختلفة بألوان شتى في مصحف واحد.

وفي ذلك يقول: «وأكره من ذلك وأقبح منه ما استعمله ناس من القراء وجهلة من النقاط من جمع قراءات شتى وحروف مختلفة في مصحف واحد، وجعلهم لكل قراءة وحرف لوناً من الألوان المخالفة للسواد، كالحمرة والخضرة والصفرة واللاَّزورد، وتنبيههم على ذلك في أول المصحف ودلالتهم عليه هناك، لكي تعرف القراءات وتميز الحروف، إذ ذلك من أعظم التخليط وأشد التغيير للمرسوم....»[5].

---

(1)- أهل المغرب يستعملون مصطلح الكحلاء، للدلالة على ما كتب بالأسود من مرسوم الخط. وفي اللسان: (كحل): «الكحل: ما يكتحل به،...قيل: الكحلاء: الشديدة السواد،...والكحلاء من النعاج: البيضاء السوداء العينين».

(2)- انظر المحكم: 20.

(3)- أبو جعفر: وقيل: أبو بكر؛ أحمد بن جبير الأنطاكي، كان من أئمة القراء الضابطين الثقات، أخذ القراءة عن الكسائي وغيره، توفي يوم التروية سنة ثمان وخمسين ومائتين. غاية النهاية: 1/ 42.

(4)- انظر المحكم: 20.

(5)- انظر المحكم: 20.

وقال أيضا: «وكذلك لا أستجيز جمع قراءات شتى بألوان مختلفة في مصحف واحد، على ما أشار إليه بعض أهل عصرنا، ومَن جهِل ما في ذلك من الكراهة ممن تقدمه، لأن ذلك من أعظم التخليط والتغيير لمرسومه...»(1).

غير أن أبا الحسين ابن المنادي (ت: 336هـ) في كتاب النقط له، لَم يرَ بأساً في استعمال الأوجُه المختلفة بألوان شتى في مصحف واحد؛ لكن بشرط التنبيه على ذلك في رقعة ملحقة بالمصحف، منفصلة عنه. فقد نقل عنه أبو عمرو الداني قوله(2): «وإذا نقطت ما يُقرأ على وجهين فأكثر، فارسم في رقعة غير ملصقة بالمصحف أسماء الألوان، وأسماء القراء، ليعرف ذلك الذي يقرأ فيه، ولتكن الأصباغ صوافي لامعات».

وقال: «وكان بعض الكتاب لا يغير رسم المصحف الأول، وإذا مَرَّ بحرف يعلم أن النقط والشكل لا يضبطه، كتب ما يريد من القراءات المختلفة تعليقاً بألوان مختلفة، وهذا كله موجود في المصاحف»(3).

* هذه طائفة من أقوال الأئمة والفقهاء -رحمهم الله-، أوردتها معزوة لناقليها وأصحابها، خلصت منها إلى أن جمهورهم يَميلون إلى الترخص في استعمال الألوان في ضبط المصاحف -على التفصيل المذكور- ، لما ينطوي عليه من فوائد جمة، ومصالح معتبرة، إذ هي الوسائل لأفضل المقاصد، وللوسائل أحكام المقاصد، والوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، كما قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام(4) رحمه الله.

---

(1)- انظر كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 134.

(2)- انظر المحكم: 21.

(3)- انظر المحكم: 21.

(4)- قواعد الأحكام: 1/ 74.

المبحث الثاني:

التطبيق المنهجي لاستعمال الألوان في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب.

لم يكن علماء الأندلس والمغرب بدعاً ممن تقدمهم في استعمال الألوان في ضبط المصاحف، بل ساروا على سَنَنهم -مِن حيث الجملة- مُقتدين ومتَّبعين، لا سيما أهل مدينة رسول الله ﷺ.

أما على وجه التفصيل، فإنَّ علماء الأندلس والمغرب امتازوا بخصوصيات منهجية، واستنباطات تطبيقية، أملتها سُنن التطور، واستوجبتها ضرورات التجديد، حتى إنهم تركوا بصمات واضحة في تاريخ كتابة المصاحف وضبطها، وأضحت مصنفاتهم أصولاً يُرجع إليها، ومصادرَ يُعول عليها في الرسم والضبط والترجيح والاختيار.

ولعل جهود الشيخين الأندلسيين، أبي عمرو وأبي داود، والشيخ أبي عبد الله الخراز، خير دليل على ذلك.

ولسنا في هذا المقام، بإزاء تتبع جميع جزئيات الموضوع وتفصيلاته، فذلك أمر لا تستوعبه دراسة مختصرة مثل هذه، ولكن حسبنا أن نقف وقفات سريعة عند بعض أهم معالم منهجية علماء الأندلس والمغرب في استعمال الألوان، ومجالات تطبيقها، وذلك مَا سنبسطه في مطلبين أساسيين:

المطلب الأول:

منهجية استعمال الألوان في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب بين الاتباع والاستنباط.

حرص الأندلسيون والمغاربة، على أن يترسموا خطى مَن كان قبلهم من الأئمة المعتبرين في ضبط حروف وكلمات القرآن واستعمال الألوان فيها، وبذلوا الوسع في الاقتداء بهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ولَم يخالفوهم إلا في الحدود التي تقتضيها حاجات الناس من البيان والإيضاح، واعتباراً لِسُنن التدرج والتطور والتجديد.

ويُحدثنا أبو عمرو الداني، في أكثر مِن مناسبة، ومِن بعده أبو داود، عن حرص أهل الأندلس على اتّباع مذهب أهل المدينة في استعمال اللونين الأحمر والأصفر. وفي هذا يقول أبو عمرو: «والذي يستعمله نقاط أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه من الألوان في نقط مصاحفهم: الحمرةُ والصفرةُ، لا غير. فأما الحمرة، فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرةُ فللهمزات خاصة...وعلى ما استعمله أهل المدينة من هذين اللونين، في المواضع التي ذكرناها، عامةُ نقاط أهل بلدنا قديماً وحديثاً، من زمان الغازي بن قيس⁽¹⁾ صاحبِ نافع بن أبي نعيم رحمه الله، إلى وقتنا هذا، اقتداءً بمذاهبهم، واتّباعاً لسننهم»⁽²⁾.

---

(1)- هو أبو محمد الغازي بن قيس الأندلسي، إمام جليل ثقة ضابط، كان مؤدبا بقرطبة، ثم رحل فحج، وأخذ القراءة عرضا وسماعا عن نافع بن أبي نعيم، وضبط عنه اختياره، والموطأ عن الإمام مالك، وهو أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس، وصحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة، توفي سنة تسع وتسعين ومائة. غاية النهاية: 2/ 2.

(2)- انظر المحكم: 19 و20.

ونقل عن قالون قولَه: «أهل المدينة يشكلون مصاحفهم برفع الميمات كلها، وجعلوا النبرات بالصفرة، والحركات نقطاً بالحمرة، ولم يخالفوهم في شيء جرى استعمالهم عليه من ذلك ومن غيره»(1).

ثم قال: «وقد تأملت مصاحفنا القديمة التي كُتبت في زمان الغازي بن قيس، صاحبِ نافع بن أبي نعيم ورَاويَةِ مالك بن أنس، فوجدت جميع ذلك مثبتاً فيها، مقيداً على حسب ما أثبت، وهيئةِ ما يقيد في مصاحف أهل المدينة»(2).

ولم يفُتْ أبا داود أيضاً أن يؤكد بدوره على هذا الاِتّباع، فقد ذكر في مقدمة كتابه في الضبط قوله: «والمستحب من الألوان للضبط: الحمرةُ للشكل، والصفرةُ للهمزة، وعلى ذلك كانت مصاحف أهل المدينة في آخر زمن الصحابة والتابعين بعدهم»(3).

وقال في سياق الحديث عن الاِختلاف بين الأئمة في علامة التشديد بين الدال والشين: «..واتبع أهلَ المدينة عامةُ أهل الأندلس قديماً. واتباعُ أهل المدينة في هذا كله أولى، والعملُ بقولهم ألزمُ، وإن كانا معاً مستعملَين وجائزين ومعروفين قديماً، وإليه أميل أنا في نقط المصاحف، وإياه أختار»(4).

على أن أهل الأندلس والمغرب، وإن اتفقوا على اتباع أهل المدينة في استعمال اللونين الأحمر للشكل والأصفر للهمزات -كما تقدم-، إلا أنهم تميزوا في ذلك في تطبيقاتهم، من زوايا عدة أذكر من بينها:

أولا: تمييزهم في الهمزات بين المحققة والملينة، حيث خصوا المحققة باللّون الأصفر، وخصوا الملينة باللون الأحمر.

---

(1)- انظر المحكم: 8.

(2)- انظر المحكم: 8.

(3)- أصول الضبط: 7.

(4)- أصول الضبط: 54.

ثانيا: استعمال اللون الأخضر أو اللأزورد(1)، للدلالة على كيفية ضبط الابتداء بهمزات الوصل، إعلاماً لكيفية النطق بها، وزيادةً في البيان، وتنبيهاً على الاستثناء من القاعدة العامة المتعارف عليها عند علماء الضبط، وهي أن النَّقطَ يُبنى على الوَصل(2).

قال أبو عمرو الداني: «ورأيت في مصحفٍ كَتَبه ونقطه حكيم بن عمران الناقط، ناقط أهل الأندلس في سنة سبع وعشرين ومائتين، الحركات نقطاً بالحمرة، والهمزات بالصفرة، وألفات الوصل المبتدأ بهن بالخضرة، والصِّلات والسكون والتشديد بقلم دقيق بالحمرة، على نحو ما حكيناه عن نقاط أهل بلدنا...»(3).

ثالثا: التوسع في استعمال أدوات الضبط وألوانها، حتى إنه شمل جميع الحروف والكلمات القرآنية، وجميع الظواهر الإقرائية والأدائية، من حركة و سكون وتنوين وقلب وصلة واختلاس وتليين همزة...، وغير ذلك، مما ينطوي على فوائد جمة، للقراء والمتعلمين.

وَهو الأمرُ الذي عَلَّله أبو عمرو الداني بقوله: «إن سَبب ابتداع النقط، هو تصحيح القراءة والإتيان بها على حقها. فسبيلُ كل حرف أن يوفى حقه مما يستحقه من الحركة والسكون والتشديد وغير ذلك»(4).

ومن الأدلة على هذا التوسع أيضاً، ما أورده أبو عبد الله الخراز في مختتم ضبطه، حيث جمع في أبيات معدودة اثني عشر مجالاً من مجالات الضبط التي اختص ضبطها باللون الأحمر فقط، وفيها يقول:

---

(1)- هذا اللون نص عليه أبو عمرو الداني في المحكم: 86، وأبو داود في أصول الضبط: 68. كما ذكره ابن وثيق في الجامع: 156.

(2)- انظر المحكم: 86، وأصول الضبط: 68، والطراز: 245، ودليل الحيران: 243.

(3)- انظر المحكم: 87.

(4)- انظر كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 138.

وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُ مِن تَنْوِينِ * أَوْ حَرَكَاتٍ وَمِنَ السُّكُونِ
وَالقَلْبِ لِلبَاءِ وَمَا لِلهَاءِ * مِن صِلَةٍ مِن وَاوٍ اوْ مِن يَاءِ
وَنَحْوُ يَدْعُ الدَّاعِ وَالتَّشْدِيدِ * وَمَطَّةٍ وَدَارَةِ الْمَزِيدِ
وَنَقْطِ تَامَنَّا وَمَا يُشَمُّ * مَعَ الذِي اخْتَلَسْتَهُ فَالحُكْمُ
أن تَجعلَ الْجَمِيعَ بِالْحَمراءِ * ......

وقد تقدم أن المقتدَى بهم من الأئمة المتقدمين من أهل المدينة وغيرهم، كانوا يقتصدون في ذلك، ولا يضبطون إلا ما تدعو إليه الضرورة.

وإذا كان أهل الأندلس والمغرب مجتمعين، بالمثابة الذي ذكرنا حِيال المتقدمين من أهل المدينة، فإن أهلَ المغرب، وإن ساروا في الأغلب الأعم على سَنن أهل الأندلس في اتباع طريقة أهل المدينة في منهجية استعمال الألوان، على وجه الإجمال، فإننا لا نعدم بينهم بعض الاختلاف في بعض الاختيارات، لابأس من الإشارة إلى بعضها.

ففي الوقت الذي حرص فيه الشيخان أبو عمرو وأبو داود على اتباع طريقة الناقط الأول أبي الأسود في الشكل، اختار أهل المغرب -في الأغلب الأعم- طريقة الخليل بن أحمد، وهي المصطلح عليها بالنقط المطول(1)، اعتباراً لكونه الأسرعَ إلى فَهم المبتدِئين؛ والأوفق لإدراك المتعلمين.

وهذا ما تؤيده طائفة من الأقوال التي نوردها في ما يأتي:

يقول أبو عمرو الداني: «...فاتباعُ هذا أولى، والعملُ به في نقط المصاحف أحق، لأن الذي رآه أبو الأسود ومَن بحضرته من الفصحاء والعُلماء، حين اتفقوا على نقطها،

---

(1)- النقط المطول، هو الأشكال الثلاثة المأخوذة من صور حروف المد، وجعل مع ذلك علامة الشد شيناً أخذها من أول (شديد)...إلى غيرها من الأدوات التي اختارها أهل المغرب، مع بعض تغيير فيها. انظر الطراز في ضبط شرح الخراز: 14، ودليل الحيران على مورد الظمآن: 202.

أوجهُ -لا شك- مِن الذي رآه مَن جاء بعدهم، لتقدمهم ونفاذ بصيرتهم، فوجب المصير إلى قولهم، ولزم العمل بفعلهم، دون ما خالفه وخرج عنه»(1).

وقال أيضا: «وإنما جعلنا الحركات المشبعات نُقطاً مدورةً على هيئة واحدة، وصورة متفقة، ولم يجعل الفتحة ألفاً مضجعة، والكسرة ياء مردودة، والضمة واواً صغرى، على ما ذهب إليه سلف أهل العربية، إذ كُنَّ مأخوذات من هذه الحروف الثلاثة دلالة على ذلك، اقتداءً منا بفعل مَن ابتدأ النقط من علماء السلف، بحضرة الصحابة، ﷺ واتباعاً له، واستمساكاً بسنته؛ إذ مخالفته مع سابقته وتقدمه لا تسوغ، وترك اقتفاء أثره في ذلك مع محله من الدين وموضعه من العلم، لا يسع أحدا أتى بعده»(2).

وقال في موضع آخر: «وترك استعمال شكل الشِّعْرِ، وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحفِ الجامعة من الأمهات وغيرها، أولى وأحق، اقتداءً بمن ابتدأ النقط من التابعين، واتباعاً للأئمة السالفين»(3).

أما أبو داود، فعلَى الرغم من كونه أيضاً من دعاة اتباع شكل أبي الأسود، لكنه لا يرى ضيراً في استعمال الشكل المأخوذ من الحروف وفق منهجية الخليل. وقد عبر عن هذا الرأي بقوله: «والشكل المدور الذي يسمى نقطاً، هو الذي أستحب في الأمهات، ولا أمنع من الشكل المأخوذ من الحروف التي يضبط بها الصبيان ألواحهم، ويعلمونه في المكتب، ويضبط به الشعر»(4).

على أنه لا ينبغي أن يُفهم من كلام أبي داود عدم تجويزه استعمال شكل الخليل، بل رخص فيه، وقرر أن في الأمر سَعة، كما صرح بذلك في أكثر من موضع، كقوله في

---

(1)- انظر المحكم: 43.

(2)- المحكم: 42.

(3)- المحكم: 22.

(4)- أصول الضبط: 6.

سياق آخر: «واتباعُ الخليل وسيبويه في الشكل المأخوذ من الحروف التي يضبط الناس اليوم في الظروف والأخبار والشعر وجعل الشدة على صورة (شين)، حسنٌ أيضاً غيرُ ممنوع منه في المصحف، لِفُشوّ ذلك أيضاً، واستعماله قديماً، وإقرار الناس ذلك، ورضاهم به وتركهم إنكاره، لكني أستحب ما قدمته آنفا؛ أعني أن يكون التشديد فيما ضبط منها شكلاً شيناً، واستعمال الدال فيما ضبط منها نقطاً»(1).

ولعل هذه السّعة التي قررها أبو داود في كلامه المتقدم، هي التي دفعت أهل المغرب إلى اعتمادِ شكل الخليل بن أحمد، في ضبطهم، وهم ما نص أبو عبد الله الخراز على جريان العمل به في عصره، لَمَّا قال في مستهل (عمدة البيان) الضبطية:

هَـذَا تمَـامُ نَظْـمِ رَسْـمِ الْخَـطِّ * وَهَـا أنَـا أتبعُـهُ بِالضَّبْطِ
كَيْمَـا يَكُـونَ جَامِعـاً مُفِيـدَا * عَلَـى الَّـذِي ألفَيْتُـهُ مَعْهُـودَا
مُسْتَنبَطاً مِـنْ زَمَـنِ الْخَلِيـلِ * مُشْـتَهِراً فِـي أهْـلِ هَـذَا الجِيـلِ

وهو النقط الذي استمر عليه العمل، إلى عصر المارغني التونسي، (ت: 1341هـ)(2)، ومِن بعدِه إلى يوم الناس هذا.

المطلب الثاني:

الألوان المستعملة في اصطلاحات الضبط ومجالات تطبيقها عند علماء الأندلس والمغرب.

تقدم الحديث عن توسع الأندلسيين والمغاربة في استعمال أدوات الضبط وما يستوجبه ذلك من التوسع في استعمال الألوان، وتدرجوا في طريقته حسب ما تقتضيه

---

(1)- أصول الضبط: 56.

(2)- كما بين ذلك في شرحه. انظر دليل الحيران: 202.

حاجة الناس في مختلف الأعصار، فوفوا كل حرف حقه من الحركة والسكون والتشديد، وضبطوا كل لفظ بما يعين على أدائه أداءً سليماً بحسب الروايات الصحيحة، والقراءات المعتبرة، مسخرين لذلك جملة منِ الألوان الناصعة التي تواضع عليها العلماء عبر العصور، وإن كان ذلك -كما أسلفنا- بدرجات متفاوتة، ومنهجيات مختلفة.

ولسنا في هذا المبحث بسبيل تتبع جمع القضايا والمسائل والجزئيات المرتبطة بمجالات استعمال الألوان في علم الضبط، فذلك أمر في غاية السعة والتشعب والتداخل.

من أجل هذا سنقتصر في هذا المبحث على استعراض الألوان المستعملة، لوناً لوناً، محاولين أن ندرج تحته جميع مجالاَت استعمالِه على سبيل الإجمال، مستندينَ إلى أقوال أهل العلم في ذلك، ولن نفصل القَول إلا بالقدر الذي تدعو إليه حاجة الفهم والبيان والتحصيل، أو ضرورة إزالة الإشكال ورفع الإلباس.

وقد تقدم أن الأندلسين والمغاربة استعملوا من الألوان الأسود والأحمر والأصفر والأخضر واللازورد، وهي بهذا الترتيب الألوان التي سأحاول إبراز مجالات استعمالها في ما يلي:

* أولا: اللون الأسود ومجالات استعماله.

اتفق علماء الأندلس والمغرب على أن اللون الأسود لا يُستعمل إلا في مرسوم الخط، وهو الكيفيةُ التي رَسم بها صحابة رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن الكريم في المصاحف العثمانية، مجردة مِن النقط والشكل وسائر أدوات الضبط.

واتفقوا أيضاً على استعمال هذا اللّون في إعجام الحروف المتلابسة، وهو النقط الدال على ذات الحرف أفراداً وأزواجاً، المميِّزُ بين الحرف المعجم والمهمل، على مذهب الخليل بن أحمد، كـ«....الباء تحتها واحدة، والتاء فوقها اثنتان، والثاء ثلاث، والجيم تحتها

واحدة، والذال فوقها واحدة، والشين فوقها ثلاث، والضاد فوقها واحدة، والفاء إذا وصلت فوقها واحدة، وإذا انفصلت لم تنقط، لأنها لا يلابسها شيء من الصور...»(1).

وقد صرح أبو عمرو الداني بالنقط بالسواد في هذا الغرض، في ترجمة الباب الذي عقده لبيان إعجام الحروف وكيفيته فقال: «باب ذكر البيان عن إعجام الحروف ونقطها بالسواد»(2)، فاستغنى بهذا التصريح في الترجمة عن إعادته في ما اندرج تحتها.

وقال في سياق آخر: «على أن اصطلاحهم على جعل الحركات نقطاً، كنقط الإعجام، قد يتحقق من حيث كان معنى الإعراب التفريق بالحركات والإعجام من قولهم: أعجمت الشيء؛ إذا بينته، وكان الإعجام أيضاً يفرق بين الحروف المشتبهة في الرسم، وكان النقط يفرق بين الحركات المختلفة في اللفظ. فلما اشتركا في المعنى، أشرك بينهما في الصورة، وجعل الإعجام بالسواد، والإعراب بغيره، فرقاً بين إعجام الحروف وبين تحريكها..»(3).

ويؤيد الذي ذكرناه، ما درجوا عليه مِن إطلاق الألف السوداء في تضاعيف مصنفاتهم، ويقصدون بها الألفَ الثابتة رسماً ولفظاً؛ تمييزاً لها عن الحمراء التي يطلقونها على المحذوفة خطا، الثابتة لفظاً، وذلك كقول أبي عمرو الداني وهو يستعرض وُجوه نقط قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنَا﴾(4): «وأما قوله في الزخرف...فرسم في جميع المصاحف

---

(1)- انظر المحكم: 37، نقلا عن الخليل بن أحمد.

(2)- المحكم: 35.

(3)- المحكم: 43.

(4)- من الآية: 38 من سورة الزخرف.

بألف واحدة،...فإذا نُقط على هذا الوجه، جُعِلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتُها عليها قبلَ الألف السوداء، ورُسِم قبل الهمزة وبعدَ الجيم ألفٌ بالحمراء..»(1).

وقول أبي داود في أحد وجوه ضبط نحو: ﴿بنآء﴾، و﴿مآء﴾: «والثالث، أن يرسم بالحمراء ألف قبل الألف السوداء، وتوقع النقطتان معاً على الألف السوداء..»(2).

وهذه السوداء، هي التي اصطلح عليها أهل المغرب بالكحلاء، في نحو قولِ أبي عبد الله الخراز في طريقة ضبط ألف الإدخال بين الهمزتين على مذهب قالون(3):

وَقَبْلَ ذِي الكَحْلاَءِ أَيْضاً تُجْعَلُ * حَمْرًا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَدْ يَفْصِلُ
لَدَى اتِّفَاقِ وَاخْتِلاَفِ بَعْدَهُ * وَإِنْ تَشَأْ عَوِّضْهُمَا بِمَدِّهِ

وقولِ الشيخ إبراهيم المارغني في شرحه لأحد أبيات الخراز: «وقوله: (حمرا)؛ تصريحٌ بما عُلم التزاماً من قوله: (ألحقتها). وذلك لأن التعبير بالإلحاق كان من باب التصريح للإيضاح، وهذا بخلاف التعبير بالرسم، فإنه لا يستلزم الحمرة، إذ أكثر ما يطلق على ما يُكتب بالكحلاء مما هو ثابت في المصحف»(4).

* ثانيا: اللون الأحمر ومجالات أستعماله:

وهو أكثر الألوان استعمالاً على الإطلاق.

وأكثر ما استُعمل فيه مما سيأتي، له تعلُّق باختلاف القراءات والروايات والطرق، بأصولها وفرشها، كما له ارتباط وثيق بقضايا علم الرسم، وهو أمر لا يخفى طوله

---

(1)- المحكم: 162. يعني عند من يقرأ بالألف على التثنية، وهم من السبعة: الحرميان وابن عامر وأبو بكر. وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. انظر التيسير: 196.

(2)- أصول الضبط: 26.

(3)- انظر الطراز: 219، ودليل الحيران: 220.

(4)- دليل الحيران: 214.

وتشعبه. لذلك سوف لن أخوض في كل ذلك إلا بقدر ما تدعو إليه ضرورة ما نحن بصدده في استعمال الألوان.

أما مجالات استعمال اللون الأحمر -على التفصيل-، فتتجلى في ما يلي:

1- الحركات(1):

يقول أبو عمرو الداني: «اعلم أن الحركات ثلاث: فتحة وكسرة وضمة... فإذا نُقط قوله ﴿الحمدُ لله﴾، جُعلت الفتحةُ نقطةً بالحمراء فوق الحاء، وجُعلت الضمة نقطة بالحمراء في الدال، أو أمامها إن شاء الناقط، وجُعلت الكسرة نقطة تحت اللام والهاء. وكذلك يُفعل بالحركات الثلاث، سواءٌ كُنَّ إعراباً أو بناءً، أوكُنَّ عَوارضَ»(2).

وقد تقدم أن أهل المغرب، اختاروا الشكل المطول الذي أحدثه الخليل(3)، لكونه الأسرع إلى فهم المبتدئ؛ والأوفق للمتعلم، خلافاً لما جرى به عمل الشيخين الأندلسيين، ووافقوهم على ضبط الحركات باللون الأحمر(4).

---

(1)- أي الحركات الخالصة، وسماها أبو عمرو وأبو داود الأندلسيان، الحركات المشبعات، تمييزا لها عن المختلسات والمشمات والمخفيات. انظر المحكم:42، وأصول الضبط: 3. وتجدر الإشارة إلى أن الظن الغالب يميل لديَّ إلى أن في النسخة المطبوعة من كتاب أصول الضبط تصحيفَ لفظ (المشبَعات)، إلى لفظ (المتابعات)، ويقوي ذلك أن لفظ (المشبعات) هو الأوجَه باعتبار السياق، والأنسب للباب الذي بعده: ص: 31، وهو باب كيفية نقط ما لا يشبع من الحركات، والأوفق لترجمة الباب عند أبي عمرو الداني.

(2)- المحكم: 42.

(3)- انظر الطراز: 18، ودليل الحيران: 202.

(4)- انظر الطراز: 444، ودليل الحيران: 272.

2- التنوين:

التنوين كما قال أبو عمرو الداني(1): «حرف من الحروف، وهو ساكن في الخِلقةِ، ومخرجه من الخيشوم. ولا يقع أبداً إلا في أواخر الأسماء خاصة».

وعلاماته جميعا تخط بالحمرة باتفاق(2).

واختلفوا في كيفيته تبعاً للاختلاف المتقدم في كيفية الحركات، نقطاً مدوَّراً أو شكلاً مطولاً.

كما اختلفوا في وجوهه ومَحالّه، وتشعَّبَ كلامهم في طريقة ضبطه، بما لايتسع المقام للتفصيل فيه(3).

وألحق بالتنوين في الضبط بالحمرة نُونُ التوكيد الخفيفة الواقعة في سورتي يوسف(4) والعلق(5)، لأنهما بمثابة التنوين في الزيادة والبدل، كما كانت في الرسم(6).

3- السكون:

وهو مما اتفق أهل الأندلس والمغرب على ضبطه باللون الأحمر.

غير أنهم اختلفوا في كيفيته على مذهبين:

---

(1)- انظر المحكم: 57.

(2)- انظر الطراز: 444، ودليل الحيران: 272.

(3)- انظر باب التنوين اللاحق الأسماء، وكيفية صورته وموضع جعله، وباب ذكر تراكب التنوين وتتابعه.. في المحكم: 57، و68. وانظر الطراز: 23، ودليل الحيران: 203.

(4)- في قوله تعالى: ﴿وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّـٰغِرِينَ﴾؛ من الآية: 32 من سورة يوسف.

(5)- في قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾ من الآية: 15 من سورة العلق.

(6)- انظر الطراز: 95.

- الأول؛ أنها جرة فوق الحرف المسكن؛ وهو الذي أشار إليه الداني بقوله: «فأما السكون، فعامة أهل بلدنا قديماً وحديثاً يجعلون علامته جرة فوق الحرف المسكن...»(1). وهو مذهبه، ومذهب عامةِ أهل الأندلس.

- الثاني؛ أنها دارةٌ تُجعل فوق الحرف الساكن، وهي على هيئة صِفر(2) صغير مثل الذي يَجعل أهل الحساب على العَدد المعدوم في حساب الغبار.

وهو مذهب أهل المغرب(3)، واختيار أبي داود(4) من قبلهم.

قال أبو عبد الله التَّنَسي: «فلما كان الساكن خالياً من الحركة، جعلوا عليه تلك الدارة، دليلا على خُلوه من الحركة، وجرى بذلك عمل المتأخرين»(5).

4- التّشديد:

وهو مما اتفق أهل الأندلس(6) والمغرب على ضبطه باللون الأحمر.

قال أبو داود: «...فإن كان مفتوحاً أو منصوباً، جعلت الشدة بالحمراء على الحرف، وإعرابها بالحمراء نقطة عليها...»(7).

واختلفوا في كيفيته على مذهبين:

---

(1)- المحكم: 51. قال الشيخ المارغني التونسي في دليل الحيران مع تصرف يسير: 215: «أرادوا بذلك مذهب الخليل وأصحابه الذين جعلوا علامة السكون خاء، وأرادوا بذلك الحرف الأول من (خفيف)، لكن الأندلسيين أسقطوا رأس الخاء وأبقوا مطتها، إلا أن مذهبهم يحسن مع نقط الدؤلي».

(2)- قال الداني في المحكم: 196: «فمن الصفر أخذت الدارة، وهو أصلها».

(3)- عبر أبو عبد الله الخراز على ذلك بقوله: «فَدَارَةٌ علامةُ السكونِ ❊ أعلاه...».انظر الطراز: 95، ودليل الحيران: 215.

(4)- أصول الضبط: 45.

(5)- انظر الطراز: 95.

(6)- إلا ابن وثيق، فإنه خَيَّر بين اللون الأحمر واللازورد. انظر الجامع: 156.

(7)- أصول الضبط: 50. وانظر الطراز: 444، ودليل الحيران: 272.

- الأول؛ جعل علامة التشديد دالاً، من حيث كان الدال آخر كلمة (شديد). وهو مذهب أبي عمرو، وأبي داود، وعامة أهل الأندلس، وتبعوا في ذلك مذهب أهل المدينة كما نص عليه الداني(1).

وقال أبوداود: «واتبع أهلَ المدينة عامةُ أهل الأندلس قديماً. واتباعُ أهل المدينة في هذا كله أولى، والعمل بقولهم ألزم، وإن كانا معاً مستعملين وجائزين، ومعروفين قديماً، وإليه أميل أنا في نقط المصاحف، وإياه أختار»(2).

-الثاني؛ أن يُجعل التشديد على صورة شين، وهو مذهب أهل المغرب(3) مطلقاً؛ وهو أيضاً اختيار أبي داود لمن ينقط بالحركات المأخوذة من الحروف، الذي هو مذهب الخليل(4).

5- الميم الصغرى الدالة على قلب النون الساكنة والتنوين عند الباء.

وهي ميم صغيرة حمراء، تُجعل مكانَ السكون في النون الساكنة، أو مكان علامة التنوين، إذا جاء بعدها حرف الباء، وذلك للدلالة على أن النون انقلبت عنده ميماً(5).

ومعلوم أنَّ جعلها ميماً صغيرة حمراء، أحدُ وجهيها، وهو اختيار أبي داود(6).

---

(1)- انظر المحكم: 50.

(2)- أصول الضبط: 55.

(3)- وفي ذلك يقول أبو عبد الله الخراز: «فدارةُ علامةُ السكونِ * أعلاهُ والتشديدُ حرفُ الشينِ». انظر الطراز: 94، ودليل الحيران: 215.

(4)- أصول الضبط: 55. قال أبو داود: «وَجَعْلُ الشدةِ على صورة (شين) حَسَنٌ أيضاً غير ممنوع منه في المصحف، لِفُشوِّ ذلك أيضاً واستعماله قديماً، وإقرارِ الناس ذلك، ورضاهم به، وتركِهم إنكاره. لكني أستحب ما قدمته، آنفا، أعني أن يكون استعمال التشديد فيما ضبط منها شكلا شيناً، واستعمال الدال في ما ضبط منها نقطا».

(5)- على الخلاف المتقدم في ضبط الحركة؛ نقطا مدورا، أو شكلا مطولا.

(6)- أصول الضبط: 85.

أما أبو عمرو الداني، فقد حَسَّنَ وجه إثبات الميم الصغيرة بالحمرة، غير أنه اختار الوجه الآخر، وهو تعريةُ النون من علامة السكون؛ وفي هذا يقول: «وكذا حكم النون إذا لقيت الباء وقلبت ميماً في اللفظ، ....أن تُعرى النون من علامة السكون، وتعرى الباء بعدها من علامة التشديد. وإن جُعل على النون ميم صغرى بالحمرة ليدل ذلك على انقلابها إلى لفظها كان حَسنا، غير أن الأول هو الذي أختار»⁽¹⁾.

أما أبو عبد الله الخراز، فقد خَيَّر بين الوجهين، وهو ما نص عليه بقوله في التنوين:

وَعَوِّضَنْ إن شِئْتَ مِيماً صُغْرَى⁽²⁾.

وقوله في النون الساكنة:

وَإن تَشَأ صَوَّرْتَ مِيماً صُغْرَى⁽³⁾.

6- الاختلاس:

الاختلاس عند القراء هو: «اختطافُ الحركة بسرعة حتى يذهبَ القليل، ويبقى الكثير، ويكون في الحركات كلها. وقد رواه قالون عن نافع في عين ﴿**فَنِعِمَّا**﴾⁽⁴⁾، و﴿**تَعدُّواْ**﴾⁽⁵⁾، وفي هاء ﴿**يَهدِّى**﴾⁽⁶⁾، وخاء ﴿**يَخصِّمُونَ**﴾⁽⁷⁾، تنبيهاً على أن أصلها السكون⁽⁸⁾.

---

(1)- انظر المحكم: 75.

(2)- انظر الطراز: 62، ودليل الحيران: 209.

(3)- انظر الطراز: 67، ودليل الحيران: 210.

(4)- من الآية: 271 من سورة البقرة.

(5)- من الآية: 153 من سورة النساء.

(6)- من الآية: 35 من سورة يونس.

(7)- من الآية: 48 من سورة يس.

(8)- الطراز: 82، ودليل الحيران: 213. وفيه أيضا: «وروى ورش فيها الحركة التامة، وضَبطُها ظاهر، وكذا على رواية إسكانها لقالون».

وتُضبط نقطاً مدوراً كنقط الإعجام، -في أحد وجهيها(1)- لئلا يلتبس بالحركة الخالصة.

ويجعل هذا النقط بالحمراء فوق الحرف إن كان مفتوحاً، كعين ﴿تعدو﴾، وتحته إن كان مكسورا كعين ﴿نعما﴾(2).

ووجه ضبطها نَقطاً مدوراً بالحمراء، هُو اختيارُ أبي عمرو الداني(3)، وبه جرى عمل أهل المغرب(4).

7- الإشمام:

الإشمام المقصودُ هنا، هو النطق بحركة تامة مركبة من حركتين: ضمة وكسرة، وجزء الضمة مقدم، وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر. وقد قرأ به نافع في سين ﴿سيء﴾(5)، و﴿سيئت﴾(6) تنبيهاً على أن أصلها الضم(7).

---

(1)- الوجه الثاني أن يعرى الحرف الذي اختلست حركته من شكل الحركة الخالصة ومن عوضها وهو النقط المدور، وهو اختيار أبي داود. وحجته في ذلك أن الاختلاس لا يؤخذ من الكتاب، بل «مشافهة من العَالِم مع رياضة وتفهم وتعلم، وإن كان ذلك كذلك، فلا معنى لضبطهن، بل تترك عارية من ذلك، فإذا رآها المتعلم عارية من الضبط، سأل الأستاذ عنها، فعرفه بحقيقة النطق بها». أصول الضبط: 38. وانظر كذلك دليل الحيران: 213.

(2)- اكتفينا هنا بمقرأ الإمام نافع تبعاً لأبي عبد الله الخراز الذي اختص به. وأحيل في سائر الروايات والقراءات على باب ذكر كيفية نقط ما لايشبع من الحركات فيختلس أو يخفى أو يشم من كتاب المحكم: 44، وباب كيفية نقط ما لا يشبع من الحركات فيختلس أو يخفى أو يشم في كتاب أصول الضبط: 31.

(3)- انظر المحكم: 46.

(4)- دليل الحيران: 213.

(5)- من الآية: 76 من سورة هود.

(6)- من الآية: 27 من سورة الملك.

(7)- الطراز: 83، وانظر أيضاً دليل الحيران: 213.

وهو حركة غير خالصة تضبط نقطا بالحمراء على غرار حركة الاختلاس، علـ الخلاف المتقدم.

قال أبو عمرو الداني: «فإذا نقطت هذه الحروف على قراءة من أشمّ أولَها الضمّ جُعل أمام السين والقاف والغين والحاء والجيم نقطة بالحمراء، ليدل بذلك على إشمامها وأنه نحي بكسرتها نحو تلك الضمة»(1).

8- الإمالة:

الإمالة ضد الفتح الخالص. وحقيقتُها أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحـ الياء.

وتنقسم إلى محضة وغير محضة، فالمحضة أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف مـ الياء، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، وتسمى بالإمالة الكبرى، وغير المحضـ هي ما بين الفتح الخالص والإمالة المحضة، وتسمى بين بين، وبين اللفظين، وتسمـ بالإمالة الصغرى وبالتقليل(2).

وهي حركة غير خالصة، تُجعل تحت الحرف الممال، نقطاً مدوراً بالحمراء(3)، فـ أحد وجهي ضبطِها(4)، وهو اختيار أبي عبد الله الخراز، تبعاً لأَبي عمرو الداني(5).

---

(1)- المحكم: 48. ويقصد بالسين والقاف والغين والحاء والجيم، أوائل الكلمات ﴿سىء﴾ و﴿سيئت﴾، و﴿سيق﴾، و﴿قيل﴾، و﴿غيض﴾، و﴿حيل﴾، و﴿جىء﴾.

(2)- انظر الطراز: 86، ودليل الحيران: 213.

(3)- دليل الحيران: 214، 272. وانظر الطراز: 444.

(4)- الوجه الثاني هو تعرية الحرف الممال من المعوض منه والعوض، ليقع السؤال عند رؤية ذلك، ك في الاختلاس والإشمام.

(5)- انظر المحكم: 48.

قال الشيخ إبراهيم المارغني التونسي: «ولا فرق في تعويض الفتحة الممالة بالنقط بين أن تكون الإمالة رائية أو يائية، في فواتح السور أو في غيرها، محضة أو غير محضة، ولا بين أن يكون الألف الناشئ عن الفتحة ثابتاً، أو محذوفاً، كُتب بالياء أم لا، فيدخل في ذلك نحو ﴿مجريها﴾(1)...لكن بشرط أن تكون الإمالة وصلاً ووقفاً..»(2).

9- المطُّ:

وهو علامة المد؛ يقول أبو عمرو الداني: «اعلم أن نقاط أهل بلدنا جرت عادتهم قديماً وحديثاً على أن جعلوا على حروف المد واللين الثلاثة؛ الألف والياء والواو، مطةً حمراء، دلالة على زيادة تمكينهن، وذلك عند لُقيهن الهمزات والحروف السواكن...ولا يجوز أن تجعل هذه المطة على الحرف المتحرك قبل حرف المدّ، كما يَفعل ذلك قومٌ من جهلة النقاط وأغبياء المعلّمين، لأن الصوت لا يمتد بمتحرك، وإنما يمتد بالحروف الثلاثة...وكذا لا ينبغي أن يُخالف بالمطة في الألف والياء والواو، بل تجعل من فوقهن أبداً...هذا إن كان مرسوماً في الخط، ثابتاً في الكتابة»(3).

أما ما تقدمت فيه الهمزةُ محققةً أو مسهلةً حروفَ المد واللين(4)، فقد نص ابن وثيق على الاختلاف بين أهل شرق الأندلس وأهل غربه في جعل علامة المد عليها فقال: «فأهل شرق الأندلس لا يجعلون عليها مدة، وأهل غرب الأندلس؛ إشبيلية وأنظارها وأهل العدوة، يجعلون عليها مدة..»(5).

---

(1)- من الآية: 41 من سورة هود.

(2)- دليل الحيران: 214.

(3)- المحكم: 54. ومثله ذكره أبو داود في أصول الضبط: 109.

(4)- وهو ما اصطلح عليه بمد البدل، في رواية ورش عن نافع.

(5)- الجامع: 155.

ويقول ابن وثيق: «واعلم أن صورة المد تجعل بالحمرة كالميم الصغرى في آخرها دال صغرى هكذا (مد)»(1).

وقال الشيخ إبراهيم المارغني في وصف صورة المدة كما يجريها أهل المغرب: «تطمس ميمها ويزال الطرف الأعلى من دالها، فرقاً بينها وبين لفظه»(2).

ويستوي في ذلك الثابتُ في الرسم، والمحذوفُ الملحق بالحمراء.

يقول ابن وثيق: «واعلم أن حرف المد إذا كان محذوفاً من الخط، وبعده ما يوجب أن يجعل عليه مدة، صورتُه بالحمرة»(3).

وإلى ذلك أشار أبو عبد الله الخراز(4):

وَإِنْ تَكُنْ سَاقِطَةً فِي الْخَطِّ * أَلْحَقْتَهَا حَمْرًا لِجَعْلِ الْمَطِّ
وَإِنْ تَشَأْ إِلْحَاقَهَا تَرَكْتَا * وَمَطَّةً مَوْضِعَهَا جَعَلْتَا

قال الشارح إبراهيم المارغني التونسي: «أشار هنا إلى حكم حروف المد الواقع بعدها همز أو سكون إذا كانت ساقطة؛ أي محذوفة في خط المصحف، فذكر فيها وجهين:

-الأول أن تُلحقها بالحمراء لأجل أن يجعل عليها المط؛ إذ الأصل فيه أن يجعل فوق حروف المد....

-الوجه الثاني: أن لا تلحق حروف المد المحذوفة، بل تستغنى بجعل المط في موضعها، فيدل المط على الحرف وعلى كونه ممدوداً. وإلى هذا الوجه أشار بالبيت الثاني.

---

(1)- الجامع: 154.

(2)- دليل الحيران: 218.

(3)- الجامع: 155.

(4)- الطراز: 119 و126، ودليل الحيران: 219.

وقد نص على هذين الوجهين الشيخان وغيرهما، وصرح أبو داود باختيار الوجه الأول(1)، وبه صدَّرَ الداني، ولذا قدمه الناظم، وبه جرى عملُنَا»(2).

10- صلة الهاء:

المراد بصلة الهاء هنا، صلة هاء الضمير الواحد المذكر، سواء كانت وَاواً أو ياءً، نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾(3).

وفيها لأهل الأندلس والمغرب مذهبان:

-الأول؛ إلحاق الصلة بالحمرة، وهو مذهب أبي عمرو، وبه عَمَلُ أهل المغرب(4).

-الثاني؛ التخيير بين الإلحاق بالحمراء وعدمه، وهو مذهب أبي داود(5).

11- صلة الياءات الزوائد(6):

سميت هذه الياءات زوائد، لأنها زادت على الرسم في قراءة من أثبتها لفظاً، على حال. ومن لم يثبتها فليست زائدة له(7).

وفيها أيضا لأهل الأندلس والمغرب مذهبان:

---

(1)- قال أبو داود في أصول الضبط: 116: «والأول أختار في هذا الباب كله، الذي تأتي بعده همزة فتصور المحذوف، وتجعل المطة عليه».

(2)- دليل الحيران: 220.

(3)- من الآية: 15 من سورة الانشقاق.

(4)- دليل الحيران: 220.

(5)- انظر دليل الحيران: 220.

(6)- آثرْتُ إفراد الياءات الزوائد بترجمة خاصة، ولم أضمنها مجال: (الزائد في اللفظ الساقط في الرسم) مع إمكان استيعابه لها، لكون الياءات الزوائد أصلاً مستقلا من أصول القراءات. انظر مذاهب القراء في الياءات الزوائد في التيسير: 69، وفتح الوصيد: 2/ 589، وغيرهما.

(7)- فتح الوصيد: 2/ 589.

-الأول؛ إلحاق الصلة بالحمرة، وهو مذهب أبي عمرو، وبه عَمَلُ أهل المغرب(1).

-الثاني؛ التخيير بين الإلحاق بالحمراء وعدمه، وهو مذهب أبي داود(2).

قال الشيخ إبراهيم المارغني: «واعلم أن ..التخيير في ..صلة هاء الضمير ومثلها صلة ميم الجمع، هو مِما انفرد به أبو داود. وأما الداني فليس عنده إلا الإلحاق. ولا يكتفي فيه بالمد عنده. ومذهب الداني هو الأصح الذي جرى به عملنا»(3).

12-الزائد في اللفظ الساقط من الرسم:

يقول أبو عمرو: «اعلم أن ما وقع في المصحف منقوصاً من هجائه، فإنك تثبته بالحمرة، إن شئت، لتدل القارئ على حقيقة اللفظ بذلك، وذلك في نحو: ﴿النبين﴾؛ رسم بياء واحدة، وهوعندي ياء الجمع، فينبغي أن تلحق ياء أخرى قبلها بالحمراء، وهي ياء فعيل. وكذلك ﴿لِيسُـُٔواْ وُجُوهَكُم﴾(4)؛ رُسِمَ أيضاً بواو واحدة، وهي أيضاً واو الجمع، فتلحق قبلها واواً أخرى بالحمراء، وهي الأصلية. وكذلك ﴿الموءُدة﴾(5)، رسمت بواو واحدة، وهي فاء الفعل، فتلحق بعدها واواً أخرى بالحمراء، وتجعل الهمزة بالصفراء...»(6).

وقال: «وقد وجدت عادة أهل بلدنا قديماً وحديثاً على إلحاق الألفاتِ المتوسطات المحذوفات من الرسم بالحمراء، في نحو قوله: ﴿العَـٰلَمِينَ﴾...»(7).

---

(1)- دليل الحيران: 220.

(2)- دليل الحيران: 220.

(3)- دليل الحيران: 221.

(4)- من الآية: 7 من سورة الإسراء.

(5)- من الآية: 8 من سورة التكوير.

(6)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 147.

(7)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 147.

وقال: «وكذلك تلحق النون الساكنة في قوله ﴿فنجى من نشآء﴾(1)، و﴿نُجِى المومِنِينَ﴾(2) بالحمراء»(3).

وقال ابن وثيق: «ومما يتعلق بالضبط أيضاً، تصوير ما حُذف من الحروف بالحمرة، ...فإن كانت الألف المحذوفة صورة للهمزة، فالأجودُ أن تصور بالحمرة، وتجعل الهمزة فوقها نحو: ﴿فادّرءتم﴾(4)، وبعضهم لاَ يُصورُها ويجعل الهمزة في السطر»(5).

13- دارة المزيد:

وهو ما زيد في الرسم من ألفٍ أو واوٍ أو ياءٍ، وسقط في اللفظ، مثل: ﴿مِائة﴾، و﴿وَلاَ تاْيْئَسُواْ﴾(6)، و﴿مِن نَّبَإِى المرْسَلِينَ﴾(7)، وغيره(8).

قال أبو عمرو: «اعلم أن نقاط سلف أهل المدينة وأهل بلدنا، اصطلحوا على جعل دارة صغرى بالحمراء على الحروف الزوائد في الخط، المعدومة في اللفظ،

---

(1)- من الآية: 110 من سورة يوسف؛ وذلك في المصاحف التي ضبطت على قراءة من قرأ (فَنُنْجِى) بنونين وإسكان الياء مخففا، وهم من السبعة: الحرميان وأبو عمرو وحمزة والكسائي. انظر التيسير: 130، والتبصرة: 230.

(2)- من الآية: 88 من سورة الأنبياء؛ وذلك في المصاحف التي ضبطت على قراءة من قرأ (نُنجِى) بنونين وإسكان الياء مخففا، وهم من السبعة: الحرميان وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي. انظر التيسير: 155، والتبصرة: 264.

(3)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 147.

(4)- من الآية: 73 من سورة البقرة.

(5)- الجامع: 163.

(6)- من الآية: 87 من سورة يوسف.

(7)- من الآية: 34 من سورة الأنعام.

(8)- ذكر الشيخ إبراهيم المارغني أن الأحرف المزيدة ثلاثة عشر نوعا، تبعا لقول الخراز، وهي عشرة أنواع زيدت فيها الألف، ونوعان زيدت فيهما الياء، ونوع زيدت فيه الواو. انظر دليل الحيران: 267.

وعلى الحروف المخففة(1)، باتفاق أو اختلاف، علامة لذلك، ودلالة على حقيقة النطق به»(2).

وَنَقَل عن قالون قوله: «في مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مخفف، فعليه دارة حمراء»(3).

ثم قال: «وهذه الدارة التي تجعل على الحروف الزوائد وعلى الحروف المخففة هي الصفر اللطيف الذي يجعله أهل الحساب على العدد المعدوم في حساب الغبار، دلالة على عدمه، لعدم الحرف الزائد في النطق، وعدم التشديد في الحرف المخفف سواء»(4).

وقد سار أهل المغرب أيضا على منوال أهل الأندلس في جعل الدارة الحمراء، فوق الحرف المزيد، دلالة على سقوط تلك الأحرف من اللفظ، وهو معنى قول أبي عبد الله الخراز(5):

فَدَارَةٌ تَلْزَمُ ذَا المزِيدِ * مِن فَوْقِهِ عَلاَمَةً أن زِيدَا

---

(1)- يقصد الداني بالحروف المخففة باختلاف، نحو ﴿وخرَقوا له﴾، و﴿أمَن هو قانت﴾... وشبه مما روي فيه التشديد والتخفيف. أما المخفف باتفاق، فنحو: ﴿العادُون﴾، و﴿من العالين﴾، و﴿صدق المرسلون﴾، ونحوه. قال في المحكم: 195: «وقد كان بعض شيوخنا من أهل النقط لا يجعلون الدارة إلا على الحروف الزوائد لا غير، ولا يجعلونها على الحروف المخففة، من حيث كان عدمها من علامة التشديد دليلا على تخفيفها...وهو مذهب حسن». ومثله ذكر أبو داود، ومال إلى جعل الدارة على الحروف الزوائد لا غير، وخيَّرَ النقاطَ في جعلها في المخففة أيضا لجوازه. انظر اختياره في أصول الضبط: 251.

وعلى عدم جعلها على المخفف، جرى عمل المتأخرين من أهل المغرب. انظر دليل الحيران: 268.

(2)- المحكم: 193. ونحوه قاله أبو داود في أصول الضبط: 245.

(3)- أصول الضبط: 246، نقلا عن أبي عمرو الداني.

(4)- المحكم: 195. وانظر أصول الضبط: 246.

(5)- انظر البيت وشرحه في الطراز: 406، ودليل الحيران: 267.

14- الهمز المسهل، على مذهب أهل التسهيل(1).

سواء أكان مفرداً أم في كلمتين، متفقتين أو مختلفتين، وسواء أكان التسهيل بين بين، أو مغيراً بالبدل حرفاً محركاً..

واتفق أهل الأندلس والمغرب على جعل الهمزة المسهلة نقطاً مدورا كنقط الإعجام بالحمراء في الصورة، تمييزاً لها عن الصفراء، التي هي المحققة في اللفظ.

وهو ما عبر عنه أبو عبد الله الخراز(2):

فَضَبطُ مَا حُقِّقَ بالصَّفْرَاءِ * نَقطٌ وَمَا سُهِّلَ بِالْحَمْرَاءِ

15- جرة النقل على مذهب ورش عن نافع:

المقصود بالنقل، نقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وإسقاطه من اللفظ.

وهو مما اتفق على ضبطه بالحمراء أهل الأندلس والمغرب.

يقول أبو عمرو الداني: «وإن نقط مصحف على قراءة نافع من رواية ورش عنه،...جعل على الساكن الذي يلقى عليه حركة الهمزة المبتدأة نقطة بالحمراء...، وجعل في موضع الهمزة جرة، علامة لسقوطها من اللفظ..، وذلك في نحو ﴿قَدَ اَفلح﴾...فإن كان قبل الهمزة المنقول حركتها إلى الساكن ألف، سواء كانت مبدلة من همزة أو غير مبدلة، وذلك نحو ﴿مَنَ -امَنَ﴾، و ﴿وَلَقَدَ -اتَيْنَٰكَ﴾(3)،....جعلت الصلة في موضع الهمزة عن يمين الألف..»(4).

وأهل النقط كما قال أبو داود، «يسمون هذه الجرة صلة، لأن الكلام الذي قبل التي هي علامتُه، يُوصَل بالذي بعدها، فيتصلان، وتذهب هي من اللفظ لذلك .

---

(1)- على الاختلاف في القراءات والروايات والطرق المبسوط في كتب القراءات.

(2)- انظر البيت وشرحه في الطراز: 154، ودليل الحيران: 225.

(3)- من الآية: 87 من سورة الحجر.

(4)- المحكم: 88. وانظر نحوه عند أبي داود في أصول الضبط: 64.

وإنما جعلها نقاط أهل الأندلس قديماً وحديثاً جرة، كالجرة التي هي علامة السكون في النقط، أوالفتحة أو الكسرة، من حيث اجتمعت ألف الوصل مع الساكن في عدم الحركة، في حال الوصل. والنقطُ والشكل مبني على الوصل دون الوقف، فلذلك جمعوا بينهما في العلامة»(1).

وقال: «ولو جعل علامة ذلك دارة صغرى، لكان حسناً أيضاً»(2).

ثم قال: «ومذهب أهل الأندلس أوجه، لما فيه من البيان عن كيفية الحركات وحال التنوين قبلها في حال الوصل»(3).

16- جرة الصلة لألفات الوصل:

أي جرة الصلة لألفات الوصل بالحروف المتحركة قبلها. وهي أيضا مما اتفق الأندلسيون والمغاربة على جعله بالأحمر.

قال أبو عمرو الداني: «اعلم أن ما قبل ألف الوصل يتحرك بالحركات الثلاث: بالفتح والكسر والضم. فإذا وصل الساكن الذي بعدها بهن، سقطت من اللفظ لأجلهن. فإذا تحرك ما قبلها بالفتح جعل على رأسها جرة(4) لطيفة، دلالة على انفتاح ما قبلها وعلى سقوطها من اللفظ، وذلك نحو قوله: ﴿..هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي﴾(5)،...وإن تحرك بالكسر جعلت الجرة تحتها، دلالة على انكسار ما قبلها، وذلك نحو: ﴿ربِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(1)- أصول الضبط: 65. وأصله لأبي عمرو في المحكم: 86.

(2)- أصول الضبط: 65. وأصله لأبي عمرو في المحكم: 86.

(3)- أصول الضبط: 66. وأصله لأبي عمرو في المحكم: 86.

(4)- قال أبو داود في أصول الضبط: 58: «وإن كان قبل ألف الوصل فتحة، جعلت الصلة جرة بالحمراء فوق الألف...».

(5)- من الآية: 142 من سورة الأعراف.

إِلرحيم﴾(1)،...وإن تحرك بالضم جعلت الجرة في وسطها، دلالة على انضمام ما قبلها، وذلك في نحو: ﴿اشتَرَوا الضَّلَـٰلَةَ﴾...، وسواء كانت الحركات الثلاثة لوازمَ أو عَوارض...»(2).

وإلى هذا أشار أبو عبد الله الخراز بقوله:

فَصِلَةٌ لِلْحَرَكَاتِ تُتْبَعُ * فَفَوْقَهُ مِن بَعْدِ فَتْحٍ تُوضَعُ
وَتَحْتَهُ إِن كَسْرَةٌ وَوَسَطَه * إِن ضَمَّةٌ كَذَا أَتَتْ مُرتَبِطَهْ

قال الشيخ إبراهيم المارغني: «أراد أن يبين هنا موضع الصلة التي هي الجرة..»(3).

17- لفظ ﴿تامنا﴾(4):

قال أبو داود: «أجمع القراء على الإشارة فيه،...وضبطه على وجهين:

-أحدهما: أن تجعل نوناً بالحمراء بين الميم السوداء والنون، وتجعل أمامها نقطة بالحمراء، وتجعل على النون السوداء علامة التشديد...

-والثاني أن لا تلحق النون بالحمراء، وتجعل في موضعها النقطة المذكورة، وتجعل على النون السوداء شدة، فتؤذن أيضا بذلك أنه إخفاء لا إدغام تام»(5).

---

(1)- من الآيتين: 2 و3 من سورة الفاتحة.

(2)- المحكم: 84. وانظر نحوه عند أبي داود في أصول الضبط: 58.

(3)- دليل الحيران: 241. وانظر أيضا شرح البيتين في الطراز: 234.

(4)- من الآية: 11 من سورة يوسف. وقد أفردتها بترجمة، تبعاً لأبي عبد الله الخراز الذي أفردها أيضا، في قوله:

«وَنَقْطِ تامَنَّا وَمَا يُشَمُّ * مَعَ الذِي اختَلَسْتَهُ فَالحُكْمُ
أن تُجعلَ الجَميعَ بالحَمراءِ *.......................».

(5)- أصول الضبط: 107.

* ثالثا: اللون الأصفر:

أجمع علماء الضبط الأندلسيين والمغاربة على استعمال اللون الأصفر لضبط الهمزات المحققة، على اختلاف في هيئتها(1) ومحالِّها، حتى كاد اللون الأصفر يختص بها دون غيرها من اصطلاحات الضبط الأخرى.

وقد كان رائد الأندلسيين والمغاربة في مبدأ استعمال اللون الأصفر في الهمزات، أهل المدينة وهو ما أشار إليه الداني في ما رواه عن قالون: «أن في مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مخفف، فعليه دارة حمراء، وإن كان حرفاً مسكَّنا فكذلك أيضاً..وما كان من الحروف التي بنقط الصفرة فمهموزةٌ»(2).

وقال في اختياره: «وأرى أن يُستعمل للنقط لونان: الحمرة والصفرة، فتكون الحمرة؛ للحركات، والتنوين، والتشديد، والتخفيف، والسكون، والوصل، والمد، وتكون الصفرة للهمزات خاصة، وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة»(3).

على أن ما ذُكر في القولين المتقدمين، مِن اختصاص اللون الأصفر بالهمزات مطلقاً، قد يُوهم أن هذا اللون استُعمل في الهمزات المحققة والملينة مَعاً، ولكن عند التأمل في نصوص الأئمة، وفهمها حق فهمها، بعد حمل المطلق منها على المقيد، والعام على

---

(1)- الهمزة تصور على وجهين: الأول: تصويرها نقطا مدورا كنقط الإعجام في الصورة، سواء كانت محققة أو مسهلة، وهو اختيار الأندلسيين والمغاربة، وميزوا بين المحققة والمسهلة باللون كما تقدم. والثاني: تصويرها عَيناً، وهو مذهب النحاة أصحاب الرسائل.

قال أبو عبد الله التنسي في الطراز: 187: «وأما نقاط المصاحف، فمجمعون على جعل الهمزة نقطة، كانت لها صورة في المصحف، أو لا». وذكر نحوَه المارغني في دليل الحيران: 232، وزاد عليه: «نعم، جرى العمل بجعل الهمزة المحققة عَيناً في الواح التعليم».

(2)- المحكم: 20.

(3)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 134.

الخاص، يظهر بجلاء، أن اللون الأصفر مخصوص بالهمزات المحققة، تمييزاً لها عن الملينة التي خصوها باللون الأحمر كما تقدم.

ومن الأدلة على ذلك قول أبي عمرو الداني: «وأما نقط هذا الضرب على قراءة من حقق الهمزتين معاً، فهو أن تجعل الهمزة الأولى نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، قبل الألف المصورة، وتجعل الهمزة الثانية نقطة بالصفراء»(1).

وقوله: «فإن نقطت ذلك على مذهب أهل التحقيق، جعلت الهمزتين معاً بالصفراء»(2).

وقول أبي عبد الله الخراز(3):

فَضَبْطُ مَا حُقِّقَ بِالصَّفْرَاءِ * نَقْطٌ وَمَا سُهِّلَ بِالْحَمْرَاءِ

*رابعا: اللون الأخضر:

اختص أهل الأندلس والمغرب باستعمال اللون الأخضر(4) لضبط ألفاتِ الوصل، للدلالة على كيفية الابتداء بها، استثناءً من القاعدة المتعارفة، التي هي بناء النقط على الوصل.

وهي نقطة خضراء كنقط الإعجام، مفصولة عن ألف الوصل، في جميع الأحوال.

---

(1)- المحكم: 96.

(2)- كتاب النقط الملحق بكتاب المقنع: 144.

(3)- انظر البيت وشرحه في الطراز: 154، ودليل الحيران: 225.

(4)- خير الشيخان أبو عمرو وأبو داود في استعمال لونين لضبط ألفات الوصل، وهما الأخضر واللازورد، انظر المحكم: 86، وأصول الضبط: 68. ولم يذكر ابن وثيق والخراز، إلا اللون الأخضر. انظر الجامع: 162، والطراز: 244، ودليل الحيران: 243.

فإن ابتُدِئ بألف الوصل مضمومة، جعلت النقطة أمام الألف، نحو ﴿محظوراً انظر﴾. وإن ابتدئ بألف الوصل مفتوحة، جعلت النقطة فوق الألف، نحو: ﴿قالَ الله﴾. وإن ابتدئ بألف الوصل مكسورة، جعلت النقطة تحت الألف، نحو: ﴿إِنِ ارتبتم﴾. فنقطة الابتداء إنما يعتبر فيها حركة ألف الوصل، لا حركة ما قبلها(1).

قال أبو عمرو الداني: «وقد جرى استعمال نقاط بلدنا على الدلالة على كيفية الابتداء بهمزة الوصل، لاضطرار القارئ إلى معرفة ذلك إذا هو قَطَعَ الكلمةَ التي قبلها، فيجعلون فوق الألف نقطة بالخضراء أو باللأزوَرد، ...وذلك إذا ابتدِئت بالفتح. فإن ابتدِئت بالكسر، جعلوا تلك النقطة تحت الألف. وإن ابتدئت بالضم، جعلوها أمامها»(2).

وقال: «ورأيت في مصحفٍ كَتبه ونقطه حكيم بن عمران الناقط، ناقط أهل الأندلس في سنة سبع وعشرين ومائتين،...ألفات الوصل المبتدأ بهن بالخضرة...»(3).

وقال أبو عبد الله الخراز:

....وَوَضْعُ ضَبْطِ الابتِدَاءِ * نقطٌ كَوَضْعِ الشَّكْلِ بِالْخَضْرَاءِ
أَمَامَهُ إذَا بِضَمٍّ ابْتَدَأْتْ * وَفَوْقُ إنْ فَتْحٌ وَتَحْتُ إن كَسَرْتْ

***خامسا: لَونُ اللاَّزَوَرْد:**

وهو لون معروف عند أهل الأندلس، قيل: هو اللَّون الأزرق، وقيل غير ذلك(4).

وقد خير الشيخان أبو عمرو وأبو داود في استعماله هو، أو اللون الأخضر، في نقط ألفات الوصل، للدلالة على كيفية الابتداء، حيث قال الداني: «وقد جرى استعمال

---

(1)- انظر دليل الحيران: 243.

(2)- المحكم: 86. ومثله عند أبي داود في أصول الضبط: 68.

(3)- انظر المحكم: 87.

(4)- انظر ص: 25 من هذا البحث.

نقاط بلدنا على الدلالة على كيفية الابتداء بهمزة الوصل...، فيجعلون فوق الألف نقطة بالخضراء أو باللازورد ..»(1).

أما ابن وثيق، فقد خير بين اللونين: الأحمر واللاّزَورد في ضبط الحرفِ المشدَّد، والسكون، خلافاً لما تقدم من جريان عمل أهل الأندلس والمغرب، على ضبط الشدة والسكون بالأحمر فقط.

وفي ذلك يقول: «وللشد علامات بالحمرة أو اللاّزورد ثلاث أسنان»(2).

ويقول: «وعلامة السكون بالحمرة أو اللازورد، دائرة صغرى فوق الحرف المسكن»(3).

ولم أجد في ضبط الخراز، ولا في ما وقفت عليه من شروحه إشارة إليه، ولعله لم يكن مما تعارف عليه أهل المغرب بهذا الاسم.

على أنني وجدت في بعض مصاحف القرن الحادي عشر الهجري وما بعده، استعمال اللون الأزرق لخط علامات الوقف.

* هذه مجمل المجالات التي استُعملت فيها الألوان في اصطلاحات الضبط عند أهل الأندلس والمغرب، على وفاق أوخلاف.

وقد تحاشيت في سبيل إبراز ذلك، الخوضَ في اختلاف القراءات والروايات والطرق، كما تفاديتُ الإفاضة في إيراد جزئيات الضبط وتفريعاته، خشية الميل بموضوعنا إلى غير وجهته المقصودة، أو إلى ما لا يحقق أهدافه المرسومة.

---

(1)- المحكم: 86. ومثله عند أبي داود في أصول الضبط: 68.

(2)- الجامع: 156.

(3)- الجامع: 158.

خاتمة:

وبعد: فإنني أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً يليق بجماله، وأثني عليه الثناء كله، لا أحصي ثناء عليه كما أثنى على نفسه، وأشكره على أن هيأ لي أسباب البحث في هذا الموضوع الطريف، الذي سعيت من ورائه إلى إثارة الانتباه إلى أمرٍ واكبَ المصاحف منذ العصور الأولى من تاريخ الأمة الإسلامية، حتى أصبح -بالموازاة مع الشكل والضبط- لازماً مِن لوازمها.

وقد بذلت الجهد في جمع ما تناثر من مادة هذا الموضوع في المظان المختلفة، التي تراوحت بين كتب اللغة العربية، والتفسير، والفقه، والقراءات القرآنية، وهجاء المصاحف، والنقط والشكل، وغيرها، ولم أدخر وسعاً في سبيل قراءتها، ومحاولة فهمها، وترتيبها، وتنظيمها، وتوثيقها، وبنائها بناء منهجياً، ييسر سبيل الاستفادة، ويمهد الطريق لكل دارس يرغب في أن يخص هذا الموضوع، بمزيد من الدراسة والتحليل، فضلا عن التسديد والاستدراك. فليست هذه المحاولة -في نظري- إلا خطوة أولى تحتاج إلى خطوات أخرى، ولكنها خطوة على الطريق الصحيح، بالنظر إلى ما وفرتُ لها مِن غاية الوسع وسلامة القصد.

وقد مكنتني هذه الدراسة من استخلاص جملة من النتائج، أورد أهمها في ما يلي:

1- إن اللون سر من أسرار الله تعالى، وآية من آياته الدالة على وحدانيته في ألوهيته وربوبيته.

2- إنه كيفيةٌ لسطوح الأجسام مُدرَكةٌ بالبَصَر، ومعيارٌ للفصل بين الشيء وغيره، ووسيلةٌ من وسائل الفَهمِ والإدراكِ والتذَكُّرِ والتقريبِ للأفهام، وشكلٌ من أشكالِ التمييزِ بين الصُور المتَشابهةِ والظواهرِ المتشاكلةِ، ومهيَعٌ من مهايع رفعِ اللبس وإزالة الخفاء.

3- إن ظاهرة التلوين في المصاحف، نشأت أول ما نشأت في النصف الأول من القرن الأول الهجري مع ظهور البوادر الأولى للنُّقط، ثم تطورت بالموازاة مع تطور أدوات النقط والشكل.

4- إن الذي دعا السلفَ -رحمهم الله- إلى استعمال الألوان في ضبط حروف القرآن الكريم وكلماته، هو عينُه الذي دعاهم إلى إحداث النقط والشكل، وهو ما شاهدوه من أهل عصرهم، من تغير الطباع، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه من تزيد ذلك، على مر الأيام وتعاقب الأزمان.

5- إن استعمال الألوان في أدوات الضبط «أسرع إلى فهم القارئ من النقط بلون واحد»(1).

6- إن التلوين كان شائعاً -بدرجات متفاوتة- قبل ظهور نقط الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ). ثم لما ظهر مذهب الخليل، سايره بعض النقاط، واستعملوا الألوان على وَفقه، في حين بقي البعضُ الآخر وفيّاً لمذهب أبي الأسود المتقدم، وفي طليعة هؤلاء الأندلسيون والمغاربة.

7- لما كان التلوين اصطلاحاً اصطلح عليه نقاط المصاحف، لم يكن بد من أن نجد الاختلاف في ما بينهم في وجوهٍ مِن الاستِعمالِ وطرائقِهِ.

فمنهم من اقتصر على اللون الأحمر وحده، كما هو شائع في مصاحف أهل العراق، ومنهم من استعمل الأحمر والأصفر لا غير، كما هو معهودٌ في مصاحف أهل المدينة، ومنهم من استعمل الأحمر والأصفر والأخضر جميعاً كما تعارف عليه أهل الأندلس والمغرب.

---

(1)- كما قال ابن مجاهد في ما نقل عنه الداني في المحكم: 24.

8- لم يكن المتقدمون من علماء الضبط في القرون الثلاثة الأولى، يتوسعون في استعمال الألوان، تبعاً لعدم توسعهم في استعمال أدوات الضبط، بل حملوه على الإيجاز والتخفيف. ولعل مردَّ ذلك إلى أنهم كانوا يُراعون في ذلك ما تدعو إليه حاجة العصر الذي هم فيه، وما يحقق المقصد الذي من أجلهِ أُحدث التَّلوين.

9- لما كان استعمال الألوان في المصاحف -شأنه شأن النقط والشكل- أمراً محدثاً لم يُعهد في عمل الصحابة رضوان الله عليهم، اقتضت الضرورة أن يبحث في تأصيله الفقهي، فتحصل من مذاهب السَّلف ثلاثةُ أقوال:

الأول: الجواز بإطلاق؛ وبه قال محمد بن سيرين في إحدى الروايتين عنه، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن، وغيرهما. وحجتهم في ذلك: البيانُ للمتعلمين.

الثاني: الكراهة بإطلاق؛ وبه قال ابن عمر وابن مسعود وابن سيرين في الرواية الثانية عنه. وحجة بعضهم في ذلك خشيةُ الابتداع، وحجةُ الآخرين خشيةُ الالتباس بين المرسوم والضبط.

الثالث: الكراهة في المصاحف الأمهات، والإباحةُ في مصاحف وألواح التعليم؛ وهو مذهب مالك. وحجته التوسط بين المذهبين؛ فالكراهة في الأمهات مخافة الابتداع، والجواز لأجل البيان في حقّ المتعلمين.

أما علماء الخلف، فكانوا كلهم يميلون إلى القول باستحباب نقط المصاحف، وما يتبع ذلك من استعمال الألوان من حيث الجملة، وذلك لأنهم صنَّفوه من قبيل ما رجحت مصلحته، وتلقته الأمة بالقبول جيلا بعد جيل، ولم يروا فيه ما يخالف أصلاً من أصول الشريعة، أو قاعدة من قواعدها.

10- حرص علماء الأندلس والمغرب في استعمالهم للألوان في المصاحف، على اتِّباع أهل مدينة رسول الله ﷺ، وامتازوا -مع ذلك- بخصوصيات منهجية، واستنباطات تطبيقية، أملتها عليهم سنن التطور، واستوجبتها ضرورات التجديد، حتى إن مصنفاتهم

أضحت أصولاً يُرجع إليها، ومصادرَ يُعوَّل عليها في الرسم والضبط والترجيح والاختيار.

11- توسع الأندلسيون والمغاربة في استعمال الألوان، في اصطلاحات الضبط، حتى إنهم وفروا لمصاحفهم -في آن واحد- جميعَ الألوانِ التي عُرفت في مصاحف الأمصار الأخرى، وفق منهجية مميزة، فَوَفَّوْا كلَّ حرف حقه من الحركة والسكون والتشديد...، وضبطوا كل لفظ بما يعين على أدائه أداء سليماً بحسب القراءات المشتهرة، والروايات الصحيحة، والطرق المعتبرة.

12- استعمل الأندلسيون والمغاربة من الألوان: الأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر، واللازورد، وحددوا لكل لون مجالاته الخاصة، وفق أصول منضبطة، ومنهجية دقيقة.

على أن هذه الاستنتاجات وغيرها، إنما بُنيت على مقدماتٍ مبسوطة في ثنايا هذه الدراسة، وأقيمت على أسس من أقوالِ الأئمة موثقةٍ، اجتهدتُ في اختصارها، ما أمكن لي ذلك، وحرَصت أن لا أورد منها إلا ما يقتضيه مقامُ البيانِ والشرحِ والتوضيحِ.

* أما أفق هذا الدراسة، فيتجلى في أنها في صيغتها الحالية، تصلح أن تكون بدايةً لإثارة الانتباه إلى أمر ظل أسلافنا رحمهم الله يعتمدونه في مصاحفهم أزمنة مَديدة، وجرى عليه عملُهم لقرون عديدة، تيسيراً لِسُبل الاستفادة من القرآن الكريم، وتطويراً لوسائل التعليم والضبط والتلقين. ولم تأفل ظاهرة استعمال الألوان في المصاحف -بالمنهجية المذكورة-، إلا مع ظهور المطابع التي لم يُسعفها -في هيئاتها الأولى- استعمال أكثر من لون واحد.

أمَا وقد تقدمت العلوم والتقنيات في العصر الحديث وتسارعت، وتطورت الوسائل والوسائط وتكاثرت، وأتاحت التقنيات المعاصرة فرصاً غير محدودة لاستخدام الألوان للأغراض التعليمية وغيرها، فإن الحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى للتفكير

الجاد في منهجية سليمة، تتيح الاستعمال الأمثل للألوان في خدمة كتاب الله تعالى، رسماً وضبطاً وتجويداً، وذلك بإحداث لجان متخصصة، تحت إشراف الهيئات العلمية المختصة، تضم مختلف المهتمين بالموضوع، من علماء الرسم والضبط والتجويد والوقف والابتداء...، وتقنيين مؤهلين، لوضع الضوابط العلمية، والآليات العملية، لاستعمال الألوان للأغراض العلمية، مستهدين ومستأنسين بتراث أئمتنا المتقدمين الذين كانوا -ولا يزالون- رواداً في هذا العمل، على قلة في الوسائل وندرة في الأدوات، ومع ذلك رأينا فيهم ما رأينا من بالغ الاهتمام بكتاب الله تعالى، وبذل الوسع في خدمته وخدمة أهله، مع الديانة والأمانة والضبط والدراية وإخلاص النية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

*****

فهرس

المصادر والمراجع المعتمدة(1)

- **القرآن الكريم**، بروايات مختلفة.

1- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت: 505هـ)، دار المعرفة بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

2- **أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار**، تأليف الإمام أبي داود سليمان بن نجاح، (ت: 496هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، صدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، 1428هـ 2007م.

3- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، منشورات مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، بإشراف الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1426هـ.

4- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي، (ت: 328هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390هـ 1971م.

5- **بدائع الفوائد**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، تحقيق علي محمد العمران، منشورات مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، بإشراف الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

6- **البيان في عد آي القرآن**، تأليف أبي عمرو الداني الأندلسي، (ت: 444هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى: 1414هـ1994م.

7- **البيان والتحصيل، والشرح والتوجيه والتعليل، في مسائل المستخرجة**، لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، (ت: 520 هـ)، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1408هـ1988م.

8- **تاريخ الخلفاء**، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت:911هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية: 1378هـ1959م.

9- **التبصرة في القراءات السبع**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ)، حقق نصه وعلق حواشيه: د. محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت، الطبعة الأولى: 1405هـ1985.

10- **التبيان في آداب حملة القرآن**، لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، (ت: 676هـ)، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: 1426هـ2005م.

11- **التحرير والتنوير**، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بدون تاريخ.

---

(1)- اقتصرت في هذه القائمة على المصادر والمراجع التي أحلت عليها، دون التي استفدت منها على سبيل الاستئناس.

12- **تنبيه العطشان على مورد الظمآن**، حقق طرفاً منه الباحث محمد سالم حرشة، في رسالة جامعية تقدم بها لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المرقب، بليبيا.

13- **التنبيه على حدوث التصحيف**، تأليف حمزة بن الحسن الأصفهاني، (ت: 360هـ)، تحقيق محمد أسعد طلس، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1412هـ1992م.

14- **التيسير في القراءات السبع**، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: 444هـ)، عني بتصحيحه: أوتوبرتزل، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: 1404هـ1984م.

15- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت: 671هـ)، (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة: 1387هـ1967م.

16- **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصاحف**، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن وثيق الأندلسي الإشبيلي المقرئ (ت: 654هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، دار الأنبار للطباعة، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى: 1408هـ 1988م.

17- **دليل الحيران، على مورد الظمآن**، في فني الرسم والضبط، للشيخ محمد بن محمد الشريشي الفاسي الشهير بالخراز، تأليف الشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، (ت: 1340هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ1995م.

18- **الذخيرة**، لشهاب الدبن أحمد بن إدريس القرافي، (ت: 684هـ)، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1994م.

19- **رفع النقاب عن تنقيح الشهاب**، لأبي علي حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، (ت: 899هـ)، تحقيق: د. أحمد بن محمد السراح، ود. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1425هـ2004م.

20- **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي، (ت: 597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة: 1404هـ1984م.

21- **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**، تأليف علي محمد الضباع، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

22- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: 748هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1405هـ1985م.

23- **الضبط لعلمي الرسم والضبط**، (شرح منظومة: الْمُحتَوِيُ الجامعُ رَسمَ الصحابةِ ثُمَّ ضَبطَ التَّابِعِ للطالب عبد الله بن محمد الأمين بن فال الجكني الشنقيطي)، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن سليمان بن أجدود الشنقيطي، نسخة تجريبية، منشورة في موقع شذرات شنقيطية.

24- **الطراز في شرح ضبط الخراز**، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، (ت: 899هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، صدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1420هـ 2000م.

25- **غاية النهاية في طبقات القراء**، للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، (ت: 833هـ)، عني بنشره ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1400هـ 1980م.

26- **فتح الوصيد في شرح القصيد**، تأليف أبي الحسن علي بن محمد السخاوي، (ت: 643هـ)، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1426هـ2005م.

27- **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، طبع ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالممكة المغربية، 1415هـ 1995م.

28- **الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**، لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، (ت: 899هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور إدريس عزوزي، طبع ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية: 1409هـ1989م.

29- **القراء والقراءات بالمغرب**، تأليف سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ1990م.

30- **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري**، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1424هـ2003م.

31- **القواعد الكبرى الموسوم بـ: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**، تأليف عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت: 660هـ)، تحقيق الدكتور نزيه كمال حماد، والدكتور عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: 1421هـ2000م.

32- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت: 528هـ)، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1407هـ1987م.

33- **لسان العرب**، لابن منظور الإفريقي، (ت: 711هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ1996م.

34- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية، عام: 1416هـ 1995م.

35- المُحتَوِيُ الجامعُ رَسمَ الصحابةِ ثُمّ ضَبطَ التّابعِ، للطالب عبد الله بن محمد الأمين بن فال **الجكني الشنقيطي= انظر** الضبط لعلمي الرسم والضبط.

36- **المحكم والمحيط الأعظم**، (في اللغة العربية)، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1421هـ2000م.

37- **المحكم في نقط المصاحف**، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: 444هـ)، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، الطبعة الثانية، 1407هـ1986م.

38- المصاحف، تأليف أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، المعروف بابن أبي داود، (ت: 316هـ)، دراسة وتحقيق ونقد: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1423هـ2002م.

39- المصنف، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، (ت: 235هـ)، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1425هـ 2004م.

40- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، (ت: 748هـ)، تحقيق طيار آلتي قولاج، منشورات مكتب البحوث الإسلامية بإستانبول، الطبعة الأولى: 1416هـ 1995م.

41- مفتاح الأمان في رسم القرآن، تأليف أحمد مالك حماد الفوتي الأزهري، الدار السنغالية، دكار، سنغال، تصوير دار الكتاب الدار البيضاء: 1395هـ 1975م.

42- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ومعه كتاب النقط، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: 444هـ)، باعتناء أوتوبرتزل، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، إستانبول: 1932م.

43- النقط، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: 444هـ) = ملحق بكتاب المقنع.

44- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني، (ت: 386هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1999م.

*****

فهرس الموضوعات

* مقدمة: 5

* تمهيد: (تحديد مفاهيم بعض مصطلحات العنوان) 10

أولا: مفهوم اللون 10

ثانيا: مفهوم اصطلاحات الضبط 12

ثالثا: مفهوم علماء الأندلس والمغرب 14

* المبحث الأول: 19

استعمال الألوان في كتابة المصاحف

(ظروف نشأته وتأصيله الفقهي)

المطلب الأول: ظروف نشأة استعمال الألوان في كتابة المصاحف 20

المطلب الثاني: التأصيل الفقهي لاستعمال الألوان في كتابة المصاحف 29

* المبحث الثاني: 39

التطبيق المنهجي لاستعمال الألوان في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب.

المطلب الأول: منهجية استعمال الألوان في اصطلاحات الضبط عند علماء الأندلس والمغرب بين الاتباع والاستنباط. 40

المطلب الثاني: الألوان المستعملة في اصطلاحات الضبط ومجالات تطبيقها عند علماء الأندلس والمغرب: 45

أولا: اللون الأسود ومجالات استعماله: 46

ثانيا: اللون الأحمر ومجالات استعماله: 48

ثالثا: اللون الأصفر ومجالات استعماله: 65

رابعا: اللون الأخضر ومجالات استعماله: 66

خامسا: لون اللازورد ومجالات استعماله: 67

* خاتمة: 69

* فهرس المصادر والمراجع المعتمدة. 75

* فهرس الموضوعات. 79

*****

هذه الدراسة

ترومُ هذه الدراسة -من بين ما ترومه- محاولةَ استكشاف جانب من جوانب اهتمام طائفة من علماء المسلمين بظاهرة الألوان، واستعمالها في رَسم وضبط ألفاظ القرآن الكريم من الناحية النظرية، ورصد الرأي الفقهي فيها من خلال جمع ما تناثر من أقوال أهل العلم في ذلك، ومحاولة ترتيبها وقراءتها وفهمها، وعرضها منهجيا، ثُم الوقوف على الألوان المستعملة في اصطلاحات الضبط عند الأندلسيين والمغاربة، ومجالات الاستعمال، في أفق الاستهداءِ بكل ذلك في خدمة كتاب الله عز وجل رسماً وضبطاً وتعلُّماً وتعليماً، على ضوء التقدم الهائل الحاصل في التقنيات الحديثة التي تتيح الاستعمال الأسهل والأمثل، لهذه الظاهرة.

من المقدمة